مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية المجلد (3) العدد(11)- سبتمبر 2024م
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: 2812-145 x الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: 2812- 5428
الموقع الإلكتروني: https://jlais.journals.ekb.eng

دور التنزيل المكي في تأصيل الفكر الحضاري

د. أماني "محسوب العطيفي"عبد الرحيم محمود
مدرس التفسير وعلوم القرآن بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب جامعة جنوب الوادي
amanyotefy@gmail.com

Journal of Arabic Language and Islamic Science Vol (3) Issue (11)- spt2024
Printed ISSN:2812-541x On Line ISSN:2812-5428
Website: https://jlais.journals.ekb.eg/

دور التنزيل المكي في تأصيل الفكر الحضاري

د. أماني "محسوب العطيفي"عبد الرحيم محمود
مدرس التفسير وعلوم القرآن بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب جامعة جنوب الوادي

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان دور مرحلة التنزيل المكي في تأصيل الفكر الحضاري ؛لأهميتها كمرحلة أصيلة في التأسيس لبناء حضارة شاملة في المدينة المنورة ،وهو ما يعني أنَّ السنوات التي قضاها النبي ﷺ في مكة بعد البعثة كانت بمثابة إعدادًا فكريًا ونفسيًا واجتماعيًا للإنسان ؛الذي سيقوم على عاتقه بناء الحضارة الإسلامية ،وهذا للرد على النظرة الخاطئة لبعض المستشرقين الذين ذهبوا إلى أنَّ ما نزل في مكة من قرآن–في الغالب–جاء متحدثًا عن اليوم الآخر،والذي اصطبغ بطابع التشاؤم الذي يعلوه الإنذار والتهديد،مما يصعب معه قيام مجتمع ينظر إلى الحياة بإيجابية وتفاؤل يدفعان لبناء المجتمع ورقيه الحضاري ،فجاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على أهم أصول الفكر الحضاري في القرآن المكي،ومنها:(التوحيد–العدل–الألفة والاجتماع–الحرية)،فتحدثتُ عن قضية التوحيد التي جاءت لترتقي بقدرات الإنسان العقلية ؛لتصل إلى هدفها وهو عبادة الله تعالى وحده،ومن ثمَّ استخلاف الإنسان في الأرض،ثمَّ دعوته إلى التفكير في تعميرها ،ولكي لا تقتصر خلافته في الأرض على التعمير المادي ؛جاء الحديث عن العدل،الذي يحكم عملية التَّعمير وفق سنن إلهية محكمة وقواعد ربانية منضبطة أساسها الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح،ولأن الفرد في حاجة إلى الجماعة لتستقيمَ حياته ؛جاء الحديث عن دور القرآن المكي في تأصيل الألفة والاجتماع بين أطراف المجتمع ،ثم الحديث عن دور التنزيل المكي في التأصيل للحرية التي تمثلت في تنظيم حرية الرأي من خلال جعلها مسئولية كل إنسان –أمام الله تعالى– عن أفعاله وتصرفاته، وفقًا لقضية الجزاء والحساب،والتي كان الحديث عنها يمثل جانبًا كبيرًا من آيات التنزيل المكي .

الكلمات المفتاحية: التنزيل المكي–تأصيل–الفكر الحضاري

The role of the Meccan revelation in establishing cultural thought

Amany "Mahsoub Al-otefy" Abdul Raheem Mahmoud

Lecturer of interpretation and Qur'anic sciences in the Islamic Studies Department

Faculty of Arts, South Valley University

Abstract

This study aims to explain the role of Meccan revelation stage in establishing cultural thought Because of its importance as an original stage in the foundation of building a comprehensive civilization in Medina .Which means that the years that the Prophet, may God bless him and grant him peace, spent in Mecca after the mission were intellectual, psychological, and social preparation for the human being who would undertake to build the Islamic civilization. This is to respond to the wrong view of some Orientalists who believed that what was revealed in the Qur'an in Mecca - in most cases - spoke about the Last Day. Which is tinged with pessimism, topped with warning and threat, which makes it difficult to establish a society that looks at life with positivity and optimism that pushes for the building of society and its cultural advancement. This study came to shed light on the most important principles of civilizational thought in the Meccan Qur'an, including: (Monotheism - Justice - Intimacy and Assembly -

Freedom), so I spoke about the issue of monotheism, which came to elevate man's mental abilities, to reach its goal, which is to worship God Almighty alone, and then to appoint man as a successor on the earth, and then to invite him to think about rebuilding it, and so that his caliphate would not be limited. In the land for physical reconstruction.The talk came about justice, which governs the reconstruction process according to strict divine laws and disciplined divine rules based on faith in God Almighty and good deeds, and because the individual needs the group to make his life right.

we talked about the role of the Meccan Qur'an in establishing familiarity and meeting between the parties of society, then we talked about the role of the Meccan Qur'an in establishing freedom, which was represented in regulating freedom of opinion by making it the responsibility of every human being - before God Almighty - for his actions and behavior, according to the issue of punishment. And arithmetic, which was discussed represents a large aspect of the verses of the Meccan Qur'an.

Keywords: Meccan Qur'an - rooting - cultural thought

مقدمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــة:

من المعروف أنَّ المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ لا تقوم إلا على أسس من القيم وتعاليم تؤمن بها ،سواء كانت هذه القيم مستمدة من معتقدات موروثة أو ديانات سماوية ؛ وهذا لحاجة الإنسان إلى قوانين وأخلاق تنظم حياته وتضبط سلوكه،ومن ثمَّ نجد الخطاب القرآني في فترة التنزيل المكي جاء بأهم الأصول والمبادئ التي كان لها دور عظيم في الرقي الفكري والمادي للإنسانية.

وأنا إذ أخص القرآن المكي بالدراسة لا أعني بذلك النظرة الجزئية للقرآن الكريم ،أو ادّعاء أنَّ القرآن المدني لم يهتم بالأصول الفكرية الحضارية ،لأن أحدًا لا يستطيع أن ينكر التكامل التشريعي والمقاصدي ،وكذلك الوحدة والتآلف اللغوي والمنطقي بين القرآن المكي والمدني ؛وقد بينت أسباب اقتصاري على دراسة مظاهر الفكر الحضاري في القرآن المكي عند حديثي عن أهمية موضوع الدراسة ،وستشمل هذه المقدمة الحديثَ عن الآتي:

أولاً:أهمية موضوع الدراسة

أ- إنَّ السور المكية يغلب عليها طابع التعرّض للأصول والقواعد الجوهرية لعقيدة التوحيد،مما يعني حصولها على الكثير من مزيّات التأصيل الفكري التي يريدها المشرع للإنسانية في كل زمان ومكان.

ب-الرد على النظرة الخاطئة لبعض المستشرقين الذين ذهبوا إلى أنَّ ما نزل في مكة من قرآن -في الغالب- جاء متحدثًا عن اليوم الآخر،والذي اصطبغ بطابع التشاؤم الذي يعلوه الإنذار والتهديد.[1]،والتي يصعب معها قيام مجتمع ينظر إلى الحياة بإيجابية وتفاؤل يدفع لبناء المجتمع ورقيه الحضاري،ومن هؤلاء المستشرقين المستشرق المجري جولد تسيهر.[2]

---

(1)ينظر:العقيدة والشريعة في الإسلام :جولد تسيهر نقله إلى العربية وعلق عليه:د محمد يوسف موسى،د على حسن عبد القادر ،دار الكتب الحديثة بمصر ، الطبعة الثانية ص15

(2)مستشرق مجري رحل إلى سورية سنة 1873 م، وانتقل إلى فلسطين، فمصر، حيث لازم بعض علماء الأزهر. وعين أستاذا في جامعة بودابست (عاصمة المجر) وتوفي بها عام (1340

ج-ما تمر به المجتمعات الإسلامية اليوم من تأزم حضاري ،يتطلب تعميق النظر في الدراسات القرآنية،ووضع ضوابط شرعية للأفكار التي تتناسب مع مجتمعاتنا الإسلامية ؛لمحاولة الحد من استقطاب الأفكار التي تفرضها علينا الحضارات الغربية.

د-إظهار عناية علماء التفسير المعاصرين وإسهاماتهم المتميزة في تناول المعالجات الحضارية للقرآن الكريم.

-الرد على زعم المستشرق الفرنسي بلاشير [1] الذي يرى أن أوائل ما نزل من القرآن في أول البعثة؛ لم يعالج قضايا الرسالة إلا معالجة مشتتة.[2]

هـ 1921 م). له تصانيف باللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية، في الإسلام والفقه الإسلامي والأدب العربيّ، ترجم بعضها إلى العربية. [ينظر:الأعلام :الزركلي ،دار العلم للملايين ،الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 مج1 ص84]، العقيدة والشريعة في الإسلام :جولد تسيهر نقله إلى العربية وعلق عليه:د محمد يوسف موسى،د على حسن عبد القادر، دار الكتب الحديثة بمصر ، الطبعة الثانية ص15.

(1)بلاشير. ريجيس، من علماء المستشرقين ومن أعضاء المجمع العلمي العربيّ بدمشق والمجمع الفرنسي الأعلى (الأنستيتو) بباريس. فرنسي، ضليع من العربية،ولد في مونروج (من ضواحي باريس) وتلقى دروسه الثانوية في الدار البيضاء (بالمغرب)وتخرج بكلية الآداب في الجزائر وسمي أستاذا في معهد الدراسات المغربية العليا في الرباط وانتقل الى باريز محاضرا في الصوربون فمديرا لمدرسة الدراسات العليا العلمية ،وأشرف على مجلة (المعرفة) الباريسية، بالعربية والفرنسية، وألف بالفرنسية كتبا كثيرة ترجم بعضها إلى العربية. وكان مخلصا في حبه لها، ووفق الى فرض تدريسها في بعض المعاهد الثانوية الفرنسية. وشارك في خدمة القضايا العربية المغربية والفلسطينية. من كتبه، وكلها مطبوعة (ترجمة القرآن الكريم) ثلاثة أجزاء، و (تاريخ الأدب العربيّ) نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم الكيلاني، و (قواعد العربية الفصحى)و(أَبُو الطَّيِّب المُتَنَبِّي)،ترجمه إلى العربية الدكتور أحمد أحمد بدوي، توفي عام :1973م [ينظر:الأعلام:الزركلي،ج2 ص72]

(2)ينظر:القرآن :نزوله تدوينه ترجمته تأثيره :بلاشير ،ترجمه إلى العربية :رضا سعادة ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1974 ص55

ثانيًا:أهداف الدراسة

يمكن القول أنَّ هدف الدراسة الرئيس؛ هو صياغة تصور شامل عن دور القرآن المكي في تأصيل الفكر الحضاري من خلال الحديث عن التوحيد والعدل ،والألفة والاجتماع، والحرية في فترة التنزيل المكي.

ثالثًا:منهج البحث:

استعنت في هذه الدراسة بالمنهج الاستقرائي،من خلال تتبع القضايا الأساسية التي تمثل مقاصدًا للتنزيل المكي كما أوردها بعض المؤلفين[1]،ثم المنهج الاستدلالي ؛من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم للاستدلال على المقاصد الحضارية التي ذكرها العلماء في كتبهم .

رابعًا:الدراسات السابقة:

لم أجد دراسة مستقلة تختص بمناقشة دور القرآن المكي في تأصيل الفكر الحضاري، ولعل أغلب الدراسات التي اهتمت بالمعالجات الحضارية في القرآن الكريم جاءت تتحدث عن عوامل البناء الحضاري في القرآن الكريم عامة ،**ومنها:**

-دراسة بعنوان:"**دور العقيدة في البناء الحضاري أركان الإيمان نموذجًا** "مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية:للدكتور رائد سعيد أحمد -المجلد 4 العدد 1 يناير1439- 2018م جامعة اليرموك -كلية الشريعة -المملكة الأردنية

---

(1)تحدث عنها الإمام ابن تيمية-رحمه الله- وله استدراك على الأصوليين في حصرهم لمقاصد الشرعية في المقاصد الخمسة المعروفة في[ينظر: مجموع الفتاوي، ج32 ص]243، كما يعد كتاب مقاصد الشريعة للطاهر بن عاشور تطبيقًا رائعًا لهذه المقاصد في الكثير من مجالات الحياة ،ربما لا نستطيع حصر تلك المقاصد في هذا الموضع؛ومنها تصحيح العقائد والتصورات 2- تقرير كرامة الإنسان وحقوقه 3- عبادة الله وتقواه 4-تكوين الأسرة وإنصاف المرأة 5-بناء الأمة الشهيدة على البشرية 6-الدعوة إلى عالم إنساني متعاون، وعدها البعض في ستة مقاصد هي:1- مقصد توحيد الله وعبادته 2- مقصد الهداية الدينية والدنيوية للعباد 3-مقصد التزكية وتعليم الحكمة 4-مقصد الرحمة والسعادة -مقصد الحق والعدل 6-مقصد تقويم الفكر.[ينظر:مقاصد المقاصد :أحمد الريسوني:بيروت ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر ص27.]

الهاشمية،وقد اكتفى الباحث فيها بتناول أركان الإيمان الستة ودورها في بناء الحضارة.

-دراسة بعنوان:"**عوامل النهوض بالحضارة الإسلامية وفق مشروع حضاري متكامل**" دراسة فكرية د. جنيد ساجد جهاد العزاوي كلية الإمام الأعظم -مجلة الجامعة العراقية العدد 24 ،وتناول فيها الباحث الحديث عن الوسائل الإسلامية للنهوض بالحضارة الإسلامية منها؛ الاهتمام بدور المؤسسات الدينية وكذلك التربوية والمؤسسات الاجتماعية والإعلامية ،والوسائل المعنوية للنهوض بالمجتمع المسلم ؛ويؤخذ على هذه الدراسة أنها تحدثت بصورة عامة عما ينبغي أن يكون عليه المجتمع المسلم،ولم تتعرض للحديث عن نظرة القرآن للمشروع الحضاري ،ولا كيفية معالجة القرآن للمشكلات الفكرية والسياسية والاقتصادية التي أضرت بالمجتمع.

-ومن الباحثين من تتبع القيم الحضارية في بعض سور القرآن مثل:-كتاب:"**القيم الحضارية في الخطاب القرآني-سورة العنكبوت أنموذجًا-**" أد:موفق سالم نوري ،صدر عن إدارة البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر العدد 176 ضمن سلسلة كتاب الأمة- رمضان 1438 ،ومن مميزات هذه الدراسة أن تقسيم القيم الحضارية جاء حسب الموضوعات التي تناولتها سورة العنكبوت ،وهي تشتمل على ثلاثة محاور،الأول:القيم الحضارية المتعلقة بالعقيدة،الثاني: القيم المتعلقة بالتحول الحضاري،الثالث:القيم المتعلقة بالسلوك والأخلاق،وبالرغم من تلك المميزات إلا أن الباحث اكتفى بالتطبيق على سورة العنكبوت فقط.

- المؤتمر الدولي الذي عقدته الجامعة الإفريقية العالمية بالسودان- الخرطوم أيام 15- 17 ديسمبر 2011م حول" القرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية" وقد تعرضت أبحاث المؤتمر للحديث عن دور القرآن في بناء الحضارة الإنسانية.

خامسًا:خطة الدراسة

ينقسم هذا البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث:

المقدمة:وشملت الحديث على :

أولاً:أهمية الدراسة .

ثانيًا:أهداف الدراسة.

ثالثًا:منهج الدراسة.

رابعًا:الدراسات السابقة.

خامسًا:خطة الدراسة.

المبحث الأول:عالجت فيه المفاهيم التأسيسية للبحث في اللغة والاصطلاح،وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :تعريف (التنزيل المكي) في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني :تعريف (التأصيل) في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثالث:تعريف (الفكر الحضاري) في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: دور التنزيل المكي في تأصيل الفكر الحضاري من خلال مناقشة قضية التوحيد،وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:دور التوحيد في التغذية المعرفية الإيجابية للعقل الإنساني من خلال فترة التنزيل المكي.

المطلب الثاني:دور التوحيد في تنبيه الإنسان إلى مسئوليته في تعمير الكون والحفاظ عليه من خلال فترة التنزيل المكي.

المطلب الثالث:دور التوحيد في تزويد الإنسان بالدافعية اللازمة لبناء المجتمع من خلال فترة التنزيل المكي.

المبحث الثالث: دور التنزيل المكي في تأصيل الفكر الحضاري من خلال ترسيخ مبدأ العدل،وفيه مطلبان:

المطلب الأول:دور العدل الإلهي في تربية نفوس آمنة مطمئنة.

المطلب الثاني:دور العدل في التصدي للمعاملات الفاسدة .

المبحث الرابع: دور التنزيل المكي في تأصيل الفكر الحضاري من خلال ترسيخ قيمة التآلف والاجتماع،وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:رفض أسباب التفكك المجتمعي .

المطلب الثاني: التنديد بالجرائم والرذائل التي كانت منتشرة في المجتمع المكي .

المطلب الثالث: الحث على الترابط بين ذوي القربات.

المبحث الخامس:دور التنزيل المكي في تأصيل الفكر الحضاري من خلال ترسيخ مبدأ الحرية ،وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التأصيل للمبدأ القرآني"لا إكراه في الدين"

المطلب الثاني:العناية بمسألة الجدل الديني.

المطلب الثالث :التأصيل لحرية الرأي من خلال مبدأ الشورى.

ثم أُعقب ذلك بخاتمة تتضمن عددًا من النتائج التي توصّلت إليها هذه الدراسة.

هذا وأسأل الله تعالى العون والتوفيق؛ بأن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كبيرًا ،والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول:تعريف المفاهيم التأسيسية للبحث في اللغة والاصطلاح

وسيتم من خلال هذا المبحث التعريف بثلاثة مفاهيم في اللغة والاصطلاح ؛ الأول هو مفهوم:(التنزيل المكي)والثاني مفهوم (التأصيل) والثالث مفهوم(الفكر الحضاري).

المطلب الأول:تعريف مصطلح (التنزيل المكي) في اللغة والاصطلاح:

التنزيل المكي مصطلح مركب- تركيبًا وصفيًا-من جزئين أحدهما:(التنزيل) ،والآخر(المكي)،والتنزيل في اللغة أصله:نَزَلَ مِنْ عُلْوٍ إِلَى سُفْلٍ يَنْزِلُ نُزُولًا.[1]،يُقال:وأنزلَ الله عزّ وجلّ الكتابَ إنزالاً ،ونزّله تَنْزِيلا.[1]

(1)المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:أبو العباس الحموي ،المكتبة العلمية – بيروت (ن ز ل) ج2 ص600.

وفَرّق بينهما العلماء فقالوا؛إن الإنزال يستعمل في الدفعة،والتنزيل يستعمل في التدريج.[2]،ومن صيغة أنزل قوله تعالى لِنُنذِرَ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا ﴿٥﴾[3] :"إِنَّما خُصّ بلفظ الإِنزال،لأَنَّ القرآن نزل دفعة إِلى السّماءِ الدّنيا، ثمّ نزل نَجْمًا نجمًا."[4] ،ومن صيغة نزّل قوله تعالى لِنُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴿٥﴾[5]للدلالة على نزوله منجمًا.

والتنزيل في الاصطلاح: ظهور القرآن بحسب الاحتياج بواسطة جبريل على قلب النبي –صلى الله عليه وسلم–. [6]

والمكي في اللغة:نسبة إلى مكة يقولون مكك،ويطلقونه على معنيين:**الأول:**استخراج الشيء،يقال؛ مَكَّ الفصيلُ مَا فِي ضَرْعِ أُمه يَمُكُّه مَكّاً وامْتَكَّه وتَمَكَّكَه ومَكْمَكَهُ: امْتَصَّ جَمِيعَ مَا فِيهِ وَشَرِبَهُ كُلَّهُ، وَكَذَلِكَ الصَّبِيُّ إِذَا اسْتَقْصَى ثَدْيَ أُمه بِالْمَصِّ. [7]

---

(1)ينظر: جمهرة اللغة: أبو بكر بن دريد الأزدي ،تحقيق: رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م ،باب (ز،ل مع ما بعدهما من الحروف)ج2 ص837.

(2)التعريفات :الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان،الطبعة: الأولى 1403هـ –1983م،ص68.

(3)سورة القدر الآية:1

(4)ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادى ،تحقيق: محمد علي النجار ،الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ،ج2 ص49.

(5)سورة الحاقة الآية:43.

(6)ينظر:التعريفات :الجرجاني،ص68.

(7)ينظر:لسان العرب :ابن منظور ،دار صادر – بيروت ،الطبعة: الثالثة – 1414 هـ (فصل الميم) :ج10 ص491،المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده المرسي ،تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2000 م ،باب(م ك ك) ج6 ص674.

الثاني: أَهْلَكَ: يقال مَكَّهُ يَمُكُّه مَكّاً: أَهلكه، ومَكَّةُ: مَعْرُوفَةٌ هي الْبَلَدُ الْحَرَامُ، قيل: سميت بذلك لقلَّة مَائِهَا، وَذَلِكَ لأَنهم كَانُوا يمتكون المَاء فِيهَا: أَي يستخرجونه، وَقيل: لِأَنَّهَا كَانَت تمك من ظلم فِيهَا: أَي تهلكه، المكمكة: التدحرج فِي الْمَشْي. [1]

وقد اشتهر عن العلماء في تعريف المصطلح المركب (التنزيل المكي) والتفريق بينه وبين (التنزيل المدني) اصطلاحات ثلاثة:

أشهرها:أن المكي ما نزل قبل الهجرة ،والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار.[2]

الثاني: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة .

الثالث: أن المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة. [3]

وأقصد بالمكي في دراستي التعريف الأول أي ؛ما نزل على النبي ﷺ قبل هجرته إلى المدينة ؛سواء كان في سفره أم في حضره .

المطلب الثاني:تعريف "التأصيل" في اللغة والاصطلاح:

الأصل في اللغة:أساس الشيء[4]،ورأيٌ أَصِيلٌ له أَصْلٌ،ورَجُلٌ أَصِيلٌ ثابتُ الرَّأْيِ عاقِلٌ،واستأصَلَ الشيءَ قَطعَه من أَصْلِه،والجمعُ أُصُلٌ وأُصْلانٌ وآصَالٌ وأَصائِلُ.[5]،وقيل أَصَّل الموضوعَ:"جعل له أَصلاً ثابتًا يُبنى عليه." [1]

---

(1)ينظر:لسان العرب :ابن منظور(فصل الميم) :ج10 ص491.

(2)وهو الذي وقع عليه الاتفاق في الاصطلاح بالمكي والمدني. ،ينظر:العجاب في بيان الأسباب: ابن حجر العسقلاني ،تحقيق :عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، ج1 ص243، الاتقان في علوم القرآن،السيوطي ،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،الطبعة: 1394هـ/ 1974 م،ج1 ص37

(3)ينظر:الاتقان في علوم القرآن:السيوطي ،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة: 1394هـ/ 1974 م ،ج1 ص37،مباحث في علوم القرآن :صبحي صالح ،دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون ، 2000 م ،ج1 ص167.

(4)معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس ،تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،باب:(الألف والصاد بعدهما الحرف الثلاثي) ج1 ص109.

(5)ينظر:المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده المرسي باب:(الصاد واللام والهمزة)ج8 ص325.

التأصيل في الاصطلاح:قال الجرجاني–رحمه الله–التأصيل:"عبارة عما يبنى عليه غيره، ولا يبنى هو على غيره."[2]

وتذكر كلمة تأصيل في كلام الدارسين، ويريدون بها تقعيد العلم بالبحث عن أصول شرعية له من القرآن والسنة ،والذين يستخدمون مصطلح "تأصيل العلوم" إنما يرون أن العلوم المراد تأصيلها لها أصل في الدين الإسلامي بحكم أن الإسلام شامل لجميع عناصر الكون، شامل لجميع الأزمنة والأمكنة، مصداقًا لقوله تعالى: لِتُنذِرَ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ﴿٥﴾ [3]

انطلاقًا من تعريف مصطلح (التأصيل) نرى أنه يعني القواعد والأسس المنبثقة من الوحي الرباني ممثلاً في: الكتاب والسُّنة ،والتي تعبر عن التوجه الإسلامي ناحية أحد القضايا المعاصرة.

المطلب الثالث:تعريف "الفكر الحضاري"في اللغة والاصطلاح

"**الفكر الحضاري**" مصطلح مركب من جزأين مفردين،أحدهما الفكر،والآخر: الحضاري،والحقيقة أنني لم أجد تعريفًا علميًا دقيقًا لمصطلح "**الفكر الحضاري**"فاجتهدت قدر إمكاني في تعريفه تعريفًا جامعًا مانعًا،بتعريف أفراده في اللغة والاصطلاح ،وبيان علاقة التعريف اللغوي بالاصطلاح ،وعلاقة التعريف الاصطلاحي بما ورد من معاني الكلمة في القرآن الكريم،لأصل بذلك إلى تعريف لمصطلح:"**الفكر الحضاري**"،وسيتضح ذلك فيما يلي:

أ–تعريف "الفكر" في اللغة والاصطلاح.

الفكر في اللغة:بالكسر،ويفتح:إعمال النظر،وَالْجمع فِكَرٌ.[4]

---

(1)معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل ، عالم الكتب الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م باب (أ ص ل)ص99.

(2)التعريفات :الجرجاني، ج1 ص28.

(3)من الآية : 38 سورة الأنعام .

(4)ينظر: المخصص: ابن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)تحقيق: خليل إبراهم جفال ، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، 1417هـ 1996م ج4 ص49.

وقال ابن فارس:"يقال تَفَكَّرَ إِذا رَدَّدَ قَلْبَهُ مُعْتَبِرًا، ورجل فِكِّيرٌ: كثيرُ الْفِكْرِ."[1]
قال الجرجاني:"التفكر تصرف القلب في معاني الأشياء؛لدرك المطلوب."[2]
ويلاحظ أن هذا التعريف الفكر يقصر الفكر على عمل العقل الفكر هو

-الفكر في الاصطلاح:

قال الراغب الأصفهاني:"الْفِكْرَةُ:قوّة مطرقة للعلم إلى المعلوم،والتَّفَكُّرُ:جولان تلك القوّة بحسب نظر العقل،وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب." [3]

وقول الراغب في تعريف **الفكرة** ؛أنها قوة مطرقة للعلم أي ؛قوة تكسب العلم الحسم والجدية في الوصول إلى المعلوم :"وأصل الطّرق الضَّرْب وَمِنْه سميت مطرقة الصَّائِغ والحداد مطرقة لِأَنَّهُ يطْرق بهَا أَي؛ يضْرب بهَا." [4]

كما يقصد بقوله في تعريف **التفكر**:جولان تلك القوة؛ أي تنقلها بين المعطيات الذهنية للأشخاص ،وهذا التنقل يكون بناءً على الصورة التي يرسمها القلب للمعلوم لكونه موطن الأفكار والتصورات .

ويتبين من التعريف اللغوي والاصطلاحي للفكر أنهما يعلقان الفهم والفكر بالقلب،وقد أشار إليه القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى لِنُنذِرَ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ

---

(1)مجمل اللغة :ابن فارس: أحمد بن فارس القزويني ،باب :"الفاء واللام وما يثلثهما" دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية – 1406 هـ – 1986 م ج1 ص704.

(2)التعريفات :ص36.

(3)المفردات في غريب القرآن:الراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم- الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – 1412 هـ ج1 ص643، ينظر:روح المعاني :الألوسي ج7 ص97.

(4)غريب الحديث: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم ،تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان ،الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن،الطبعة: الأولى، 1384 هـ – 1964 مج2 ص46.

ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن ٥[1]،وهو للتنبيه إلى أن القلب هو مستودع الوعي والفهم.

وقد وردت كلمة(فكر) في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعًا منها أربعة عشر موضعًا في القرآن المكي[2]وأربعة مواضع فقط في القرآن المدني[3]،ويدل هذا على أن التنزيل القرآني في مكة كان يتعامل مع ركام من الجهل والتخلف الفكري ،فكانت الدعوة إلى التفكير تناسب تلك الفترة .

ب-تعريف "الحضاري" في اللغة والاصطلاح:

الحضاري في اللغة :من الحَضَر ؛بفتحتين خلاف البدو،والنسبة إليه حَضَري على لفظه ،وحضر أقام بالحضر،**والحضارة** بفتح الحاء وكسرها سكون الحضر، وحضرني كذا :خطر ببالي.[4]

فالمفهوم الأصيل لكلمة حضارة في اللغة العربية يدور حول حياة الحضر ،فإذا قلنا فلان حضري أي؛يقيم إقامة ثابتة في المدن ،ويقابله البداوة،وهي حياة التنقل في البادية ،فنقول: فلان بدوي.

---

(1)من الآية :179 سورة الأعراف.

(2)وردت بصيغة "تتفكرون"في سورة الأنعام(50)،ووردت بصيغة "يتفكروا" في سورة الأعراف الآية(184)،وسورة الروم الآية(8)،ووردت بصيغة "يتفكرون"في السور الآتية:الأعراف الآية(176)،يونس الآية(24)،الرعد الآية(3)،النحل الآيات(11،69،44)،الروم الآية(21)،الزمر الآية(42)،الجاثية الآية(13)،ووردت بصيغة" فكر"في سورة (المدثر).

(3)وردت بصيغة "تتفكرون" في سورة البقرة :الآيتان(266،219)،ووردت بصيغة "ويتفكرون"في سورة آل عمران الآية (191)،الحشر الآية(21).

(4)ينظر:المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أبو العباس الحموي ، المكتبة العلمية – بيروت باب (ح ض ر)ص140، مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي ، باب(حضر)ص75.

-**الحضاري في الاصطلاح:** نسبة إلى حضارة،ومن أشهر تعريفات الحضارة تعريف ابن خلدون، فقال :"التفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله."[1]

وهو تعريف يخصص الحضارة بمظاهر التقدم المادية فقط،وقد خصها المستشرقون بالتقدم الروحي والمادي ،فعرّف المستشرق ألبيرت أشفستير الحضارة بأنها:"التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء."[2]

وعُرفت بأنها:"مظاهر الرقي العلمي والأدبي والاجتماعي في الحضر."[3]

وعرفها حسين مؤنس،فقال:"الحضارة في مفهومنا العام ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته ،سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودًا أم غير مقصود ،وسواء كانت الثمرة مادية أو معنوية."[4]

ثالثًا: علاقة التعريف الاصطلاحي المعاصر بما ورد من مشتقات الكلمة في القرآن الكريم.

جاءت مشتقات كلمة "الحضارة" في القرآن الكريم على معان منها:

-المجاورة كما في قوله تعالى لِتُنذِرَ تُنذِرَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ﴿٥﴾[5]:"معنى حاضِرَةَ الْبَحْرِ مجاورة البحر وبقربه وعلى شاطئه. "[6]

---

(1)تاريخ ابن خلدون، تحقيق :خليل شحادة دار الفكر بيروت الطبعة الثانية 1408-1988 ج1 ص216.

(2)فلسفة الحضارة :ألبيرت أشفستير، ترجمة د عبد الرحمن بدوي ،ومراجعة د/ زكي نجيب محمود المؤسسة المصرية العامة ،القاهرة مطبعة مصر 1963 ص34.

(3)وسطية الإسلام وأمته في ضوء الفقه الحضاري :عمر بهاء الدين الأمير ،دار الثقافة بقطر سنة 1406 ص16.

(4)الحضارة -دراسة في أصول قيامها وتطورها-:د حسين مؤنس ،سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت ص13.

(5)سورة الأعراف الآية:163

(6)زاد المسير في علم التفسير:ابن الجوزي (المتوفى: 597هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي ،دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى - 1422 هـ ج2 ص163.

– الحضور والشهود كما في قوله تعالى لِتُنذِرَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا ﴿٥﴾[1] وقوله تعالى لِتُنذِرَ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ ﴿٥﴾ [2]:"والمراد بحضور الموت :مشارفته وظهور أمارات وقوعه."[3]

فمعنى الكلمة في القرآن الكريم يدور حول المشاهدة والحضور والمجاورة ، ولعل معنى الحضارة في التعريف المعاصر لا يخرج عن هذه المعاني ، لمّا كانت الحضارة يعتبرها المعاصرون هي الشاهد على مظاهر الرقي الفكري والمادي عبر العصور.

رابعًا: تعريف مصطلح "الفكر الحضاري":

يمكن تعريف المصطلح بأنه:"**المحاولات العقلية للوصول إلى جملة الأصول والمبادئ اللازمة للنهوض بالفكر وتزكية النفس وتحقيق البناء والعمران.**"

ولأن العقول قد تختلف في رصد الأصول والمبادئ اللازمة في النهوض بالمجتمعات بناءً على معتقداتها الدينية ،فسيكون تناولي للأصول والمبادئ التي اعتنى علماء الأمة الإسلامية باستمدادها من القرآن الكريم.

وقصدت بقولي:"**الأصول والمباديء**"أي:القواعد الأساسية التي تعد مقاصدًا من مقاصد القرآن الكريم في فترة التنزيل المكي،وقصدت بقولي:"**بغرض النهوض بالفكر وتزكية النفس**"أي أنْ يكون هدف هذه المقاصد هو ترقية عقول الأمة وتوسيع مداركهم، ثم تزكية أنفسهم،وهذا يتناول تنمية الجوانب الفكرية والأخلاقية والروحية للإنسان ،وبقولي:"**تحقيق البناء والعمران**" أي تنمية الجوانب المادية .

ونبدأ بمناقشة دور التنزيل المكي في تأصيل الفكر الحضاري من خلال مناقشة قضية التوحيد في المبحث التالي:

---

(1)سورة البقرة من الآية :133.

(2)سورة البقرة من الآية 180.

(3)مفاتيح الغيب :الرازي ،دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – 1420 هـ ج12 ص450.

المبحث الثاني:دور التنزيل المكي في تأصيل الفكر الحضاري من خلال مناقشة قضية التوحيد

تمهيد

من المعلوم أنَّ المعرفة العقدية والإيمان بالغيب من أهم المعطيات التي تشكل الجوانب المعرفية للإنسان؛ لذا فيحسب للقرآن الكريم في فترة نزوله في مكة مناقشته لقضايا العقيدة بصورة حققت نتائج إيجابية حضارية من ناحيتين: **أولهما:أنه** كفى العقول شر النقاشات الفلسفية،وإهدار الطاقات الذهنية في التفكير في مسائل الغيب،**ثانيهما:** أنه فتح بالوحي بابًا من العلم والمعرفة يخدم جميع الجوانب المعرفية من خلال توجيه العقول إلى طريقة البحث في مسائل الإيمان بالله،ثم إرسال الرسل للبيان والتفصيل،والرد على حجج الكافرين.

ومن ثمَّ كان من أهم أهداف القرآن المكي هو المعالجات الفكرية ،التي جعلت من إقرار مشركي العرب بتوحيد الربوبية ،دليلًا على خلل عقائدهم لما أشركوا في عبادة الله تعالى وأسمائه وصفاته ، فتأكدت بالتوحيد ووضحت وجهة الإسلام وسبيله ،وقد ساهمت عناية المُشرِع بقضية التوحيد في فترة التنزيل المكي بشكل كبير في تأصيل الفكر الحضاري؛ من خلال تيسير سبل الوصول إلى وحدانية الخالق عز وجل،فإن وصل إلى هذا الهدف ؛علم بأنه لا مجال للصدفة والعبثية في خلق هذا الكون ،ومن ثم توصل إلى الهدف من وجوده،وأسباب العناية به ،**ويمكن أن نلمس ذلك من خلال المطالب الثلاثة التالية :**

المطلب الأول:دور التوحيد في التغذية المعرفية الإيجابية للعقل الإنساني من خلال فترة التنزيل المكي.

إن هدف الخطابات القرآنية التي تقرر وحدانية الله تعالى في التنزيل المكي؛ هو الاهتمام بتيسير طريق الوصول إلى حقيقة التوحيد ،ويمكن أن نلمس ثمار فترة التنزيل المكي في تأصيل الفكر الحضاري؛من خلال مناقشتها لكل من شرك الربوبية والألوهية كما يلي:

أولًا: مناقشة شرك الربوبية

استخدم الخطاب القرآني **في فترة التنزيل المكي** نوعين من حقائق المعلومات الصادرة عن العقل الإنساني؛ للوصول إلى تقرير توحيد الربوبية ؛وقد كان لهما عظيم الأثر على الحضور العقلي والرقي الذهني ؛**أولهما:**الفطرة،**وثانيهما:**العلوم المكتسبة بالتعلم والاستدلال،قال أبو حامد الغزالي–رحمه الله–:"وكلا القسمين قد يسمى عقلًا." (1)

أما الفطرة :فهي هبة الله تعالى لعباده ،وسبيل من سبل التيسير في الوصول إلى حقيقة التوحيد، فكل إنسان يشعر ويوقن داخل نفسه بأنّ له ربّاً وخالقاً يشعر بعظيم الحاجة إليه،قال تعالى لِتُنذِرَ ٱلذِّكۡرَىٰ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا ﴿١٢﴾ (2)

وهي متقدمة على العقل ؛إلا إذا وُجد ما يفسدها،قال ابن تيمية–رحمه الله–:"الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس ،وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة.(3)

وإذا ما فسدت فطرة الإنسان وتعطلت،فيكون دور **العقل** الذي يدعو إلى نفي اعتقاد الصدفة وظن العبثية في خلق الكون ونظام إدارته ؛ ومن ثم نقرأ في القرآن المكي قوله تعالى لِتُنذِرَ ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ ﴿٩﴾ (4) ،وقوله تعالى لِتُنذِرَ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ ﴿١٢﴾ (5)

---

(1)إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت ج3 ص16

(2)من الآية :30 سورة الروم

(3)مجموع الفتاوى ج16 ص328

(4)سورة البلد من 8–9

(5)سورة الزخرف الآية :10

وذلك إنما ينبه إلى أن:"الإيمان ليس مجرد مقولة أخلاقية؛بل هو في الحقيقة وفي المقام الأول مقولة معرفية،وهو بتعبير آخر مفهوم مرتبط بالمعرفة وبصحة الأخبار التي يتأسس عليها. "[1]

كما ينبه إلى أن الله-سبحانه وتعالى- يريد لهذه الأمة الانتباه إلى ضرورة الحضور العقلي والرقي الذهني في التفكير،وهما أهم أدوات الفكر الحضاري في واقعنا المعاصر.

قال الشيخ عبد الكريم الخطيب-رحمه الله-عند تفسيره لقوله ﷺ لِتُنذِرَ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ ﴿١١﴾[2]:"إغراء بتوجيه النظر،وإعمال الفكر فى هذه المخلوقات،ومن هنا كانت دعوة القرآن بالنظر إلى الطبيعة وهى فى حلل جمالها وبهائها- هى فى الواقع دعوة ضمنية إلى التزود من العلم والمعرفة، إذ يكون النظر إليها فى تلك الحال نظرا جادّا باحثا مستلهما،لا نظرا عابثا لاهيا متفكها بألوانها وأصباغها."[3]

وهو أيضًا ما يجعل عملية النظر أكثر جاذبية وفاعلية للإنسان الذي يبحث في قضية التوحيد؛ولقد تكرر هذا في العديد من سور القرآن المكي،ومن أكثرها سورة النحل،فقال تعالى: لِتُنذِرَ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ ﴿٥﴾[4]،وقال تعالى لِتُنذِرَ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن ﴿٥﴾ [5]

---

(1)التوحيد مضامينه على الفكر والحياة :إسماعيل راجي الفاروقي ،دار المدارات ص98

(2)من الآية:141 سورة الأنعام .

(3)التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب ،دار الفكر العربي – القاهرة ،ج4 ص250.

(4)سورة النحل الآيتان 5-6.

(5)من الآية:7 سورة النحل .

ومن ثمَّ فإن تكرار الحث على النظر والتدبر في التنزيلات المكية؛ يؤكد على رغبة التشريع في التغذية المعرفية الإيجابية للعقل الإنساني للوصول إلى حقيقة التوحيد ،وهو ما ينكر على المستشرق الألماني نولدكه[1] قوله بأن:" الفترة المكية الأولى كانت تخاطب العاطفة وتركز بصورة خاصة على صور العذاب والنعيم في الآخرة ،وأن هذا الأسلوب هو ما كان يجذب المستمعين من ذوي العقول البسيطة ."[2] ، فكيف للعقول البسيطة أن تستوعب ما طرحه القرآن الكريم في الفترة المكية من أسئلة ،كان هدفها هو تحفيز العقل الإنساني، بل وتكرارها في السورة الواحدة ؛فنجد مثلًا في **سورة يس:**قوله تعالى لِتُنذِرَ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴿٥﴾ [3] ،وقوله تعالى لِتُنذِرَ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا ﴿٥﴾ [4]، وقوله تعالى لِتُنذِرَ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ ﴿٥﴾ [5] **وفي سورة الواقعة** قوله تعالى لِتُنذِرَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ ﴿٥﴾ [6]وقوله تعالى لِتُنذِرَ إِنَّمَا

([1])تيودور نُولْدِكِهْ : Theodor Noldeke من أكابر المستشرقين الألمان. ولد في هاربورج (بألمانيا) وتعلم في جامعات غوتنجن وفينة وليدن وبرلين. وانصرف إلى اللغات الساميّة والتاريخ الإسلامي فعُين استاذاً لهما في جامعة غوتنجن ، له كتب بالألمانية عن العرب وتاريخهم منها (تاريخ القرآن) و (حياة النبي محمد) و (دراسات لشعر العرب القدماء) و (النحو العربيّ) و (خمس معلقات) ترجمها إلى الألمانية وشرحها. ونشر في مجلات الغرب وموسوعاته بحوثاً كثيرة،توفي سنة 1930 م." [ينظر:الأعلام:الزركلي ج2 ص96]

(2)إشكالية القرآن المكي في دراسات المستشرقين :التاجاني عبد القادر حامد مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،قطر ، المجلد 38، العدد 1،ص 62

(3)سورة يس 71-73

(4)سورة يس الآية :77

(5)سورة يس الآية:81

(6)سورة الواقعة الآية من 58-59

نُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿٥﴾ [1] وغيرها العديد من الأسئلة الفكرية الكبرى التي شغلت العلماء والمفكرين على مر .

ثانيًا: مناقشة شرك الألوهية

ساهم التنزيل المكي بشكل ملموس في تأصيل الفكر الحضاري من خلال مناقشته لشرك الألوهية ؛حيث جاء بمنهجية علمية محْكمة تستطيع التعامل مع مخزون الجهل والتخبط العقدي، هدفها تنقية العقول من شرك العبادة.

وتزداد أهمية فترة التنزيل المكي في التأصيل الفكري ؛إذا علمنا حجم التنوع في المفاهيم الفكرية والموروثات العقدية التي كانت تسيطر على العقول في شبه الجزيرة العربية،يقول المستشرق مونتجمريوات:"إن الإسلام كان بالفعل يتعامل مع مختلف الديانات السماوية بالإضافة للوثنية العربية وكانت جميعها ممثلة في شبه الجزيرة العربية."[2]

هذا بالإضافة إلى النصرانية واليهودية التي كانت منتشرة في شبه الجزيرة العربية،فقد تسربت بقايا من اليهود إلى الحجاز آتية من فلسطين في أعقاب حملة الرومان،وكذلك النصرانية من بلاد الشام والعراق والحبشة إلى شبه الجزيرة العربية بواسطة المبشرين والتجار،وبفعل اتصالهم بطرق القوافل التجارية.[3]

وقد أثبتت كتب السنة هذه الحالة الفكرية المتدهورة قبل البعثة النبوية، روى الإمام البخاري عن أبي رجاء العطاردي،قال:" كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرًا هو أخير منه ألقيناه،وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا جثوة من تراب، ثم جئنا

---

(1)سورة الواقعة من الآية 68-69

(2)محمد-صلى الله عليه وسلم -في مكة:ترجمة د عبد الرحمن الشيخ حسين عيسى ص32،ينظر: تاريخ العرب قبل الإسلام :أ د محمد سهيل ، النفائس ،الطبعة الأولى 1430-2009م ص273.

(3)ينظر:تاريخ العرب قبل الإسلام : أ د محمد سهيل ص269.

بالشاة فحلبناه عليه،ثم طفنا به، فإذا دخل شهر رجب قلنا: منصل الأسنة، فلا ندع رمحًا فيه حديدة، ولا سهمًا فيه حديدة، إلا نزعناه وألقيناه شهر رجب ."[1]

وقد تعهد القرآن الكريم فيها بالرد على جميع الأباطيل،التي يلقيها الكفار بغير علم بغرض إعاقة عملية البناء الفكري للإنسان،فقال تعالى: لِنُنذِرَ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ ۝٥ [2]،قال الشيخ الشنقيطي-رحمه الله-:"أنهم لا يأتونه بمثل ليحتجوا عليه به بالباطل،إلا جاءه الله بالحق الذي يدمغ ذلك الباطل، مع كونه أحسن تفسيرًا وكشفًا وإيضاحًا للحقائق."[3]

ويمكن أن نلمس أثر توحيد الألوهية في التأصيل الفكري ؛أن فترة التنزيل المكي تعاملت مع تراكمات الشرك والمعتقدات الفاسدة بمنهجية علمية محْكمة ،حيث جاءت بطاقة من الحفز المعلوماتي هدفها هو تنبيه عقول هؤلاء الكفار إلى أن سبب الشرك الذي هم فيه ؛هو اعتقاد القربة إلى الله تعالى، وذلك إنما استُحدث قبل بعثة سيدنا نوح عليه السلام، فعبد الناس الأصنام واتخذوا ودًا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا ،فابتعث الله عز وجل نوحًا عليه السلام يدعوهم إلى التوحيد وخلع الأصنام والأنداد ،فلبث فيهم سيدنا نوح ،كما قال الله تعالى لِنُنذِرَ ۝٥ [4]فأغرقهم الله بالطوفان حين تمت عليهم حجته ،إلا أن الغرق أعاد حال نوح إلى نحو حال آدم – عليهما السلام– في ظهور أمره وابتداء البشر منه مع أنه لم يكن بقي من الكفار أحد

---

(1)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب:"المغازي"،باب:"وفد بني حنيفة"ج5 ص171 ،رقم(4376)،(جثوة) شيء من التراب يجمع حتى يصير كوما. وبَه سمي الْقَبْر جثوَة،ينظر:جمهرة اللغة باب(جثو)ج1 ص416، (منصل الأسنة) أي: منزع الحديد من السلاح، والأسنة جمع سنان؛ وهو نصل الرمح.[ينظر:جمهرة اللغة ج2 ص 879]،ومعنى قوله وألقيناه شهر رجب أي؛ لأجل شهر رجب .

(2)سورة الفرقان الآية:33.

(3)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ،عام النشر : 1415 هـ - 1995 مـ ج5 ص299.

(4)من الآية 14:سورة العنكبوت

إلا أن الناس قد كانوا عرفوا عبادة الأصنام واتخاذ الأنداد من دون الله عز وجل ،فأسرعوا بعده إلى الكفر وعبادة الأصنام ،ابتعث الله عز وجل إبراهيم فدعاهم إلى الله تعالى وكسر أصنامهم ونبههم على خطأ أفعالهم وجدد لهم الذكرى، وأنزل عز وجل عليه الصحف،ولا يزال البشر كذلك يتنقلون في عبادة الأوثان إلى بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم–. (1)

فقال تعالى لِتُنذِرَ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٥﴾ (2)، وقال تعالى لِتُنذِرَ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم ﴿٥﴾ (3)

،وقال تعالى لِتُنذِرَ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ □□□□□□□□□ □ ﴿٥﴾ (4)

وبهذا يكون التنزيل المكي ؛قد ساهم بشكل فعال من خلال تقرير توحيد الألوهية في الارتقاء بعقول الخلق ،وبيّن لهم أن ما وجدوا عليه آباءهم كان شركًا اعتقدوا فيه القربى إلى الله ،فضلّوا به عن عقيدة التوحيد ،وأضلوا من تبعهم ،وجاءت الأنبياء على فترات لتنبههم وتبين لهم طريق التوحيد.

المطلب الثاني:دور التوحيد في تنبيه الإنسان إلى مسئوليته في تعمير الكون والحفاظ عليه من خلال فترة التنزيل المكي.

(1)ينظر:إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد : ابن الوزير، محمد بن إبراهيم عز الدين اليمني ، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الثانية، 1987م ص74

(2)سورة يونس الآية :18

(3)سورة الزمر الآية :3

(4)سورة الإسراء:57

ظهرت عناية التنزيل المكي بتوجيه نظر الإنسان إلى الطبيعة من خلال مناقشته للأدلة العقلية لوجود الله تعالى ،حيث وضع توحيد الربوبية العقل البشري في المناخ العلمي المناسب للبحث وقد كان من مزيات هذا البحث ؛ تنبيه الإنسان إلى مسئوليته عن تعمير الكون والحفاظ عليه ،ويكفي كي نعلم أهمية ذلك في فترة التنزيل المكي؛أن كلمة "**سخر**" قد وردت بمفهومها ؛وهو الانتفاع بالمخلوقات التي أنعم الله بها على الإنسان في **عشرة** مواضع[1]نصيب القرآن المكي **ثمانية** مواضع؛منها قوله تعالى في سورة إبراهيم لِتُنذِرَ**إِمَامٍ** مُّبِينٍ ﴿١٣﴾ ﴿٥﴾[2]وقال تعالى لِتُنذِرَ ﴿٥﴾[3]،وقال تعالى في سورة لقمان لِتُنذِرَ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ **بِمَا** كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٥﴾ [4]

ويمكن أن نلمس أثر التأصيل الحضاري لهذه الآيات من خلال ما يلي:

أولًا :أن إنعامه تعالى على الإنسان بمظاهر الإحكام والاتقان المشاهدة في الكون، يؤثر بشكل إيجابي على طاقاته الإبداعية ؛ في استنكار العشوائية والفوضوية ،وتقدير قيمة الإبداع ،وهذه المظاهر لا يخلو منها موضع من المخلوقات،قال البيهقي–رحمه الله–:"وهذا لأنك إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك، واعتبرتها بفكرك، وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض مبسوطة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة

---

(1)المواضع في القرآن المكي هي :سورة هود الآية (61)،سورة إبراهيم الآيات(32–33–34) سورة النحل الآية(14)، سورة لقمان الآية(20)،سورة الزخرف الآية(13)،سورة الجاثية الآية(12)،ووردت في القرآن المدني في موضعين من سورة الحج الآية (65) والآية (37)

(2)من الآية 32:سورة إبراهيم

(3)من الآية 33:سورة إبراهيم

(4)من الآية 20:سورة لقمان

كالذخائر، وضروب النبات مهيأة للمطاعم والملابس والمآرب، وصنوف الحيوان مسخرة للمراكب مستعملة في المرافق، والإنسان كالمملك للبيت المخول ما فيه ."[1]

ثانيًا:توجّيه نظر الإنسان إلى البحث في الكون، والتعرف على خواصّه وأسراره، والانتفاع به في الحياة ،فإن الله عز وجل جعل الخليقة مطواعة قابلة للتحول وقادرة على تغيير جوهرها وبنيتها وأحوالها وعلاقاتها؛لكي تجسد النسق أو الهدف الإنساني أو تجعله ملموسًا. [2] مصداقًا لقول الحق عز وجل لِنُنذِرَ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۖ ٥[3]،وقوله تعالى لِنُنذِرَ وَأَجۡرٖ كَرِيمٖ ١١ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢ ٥ [4] ،وقوله تعالى لِنُنذِرَ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ٤٥ ٥ [5]

المطلب الثالث:دور التوحيد في تزويد الإنسان بالدافعية اللازمة لبناء المجتمع من خلال فترة التنزيل المكي

اقتضت سنن الله ﷻ العظمى الجارية في الأرض أن يظهر على عباده أثر إخلاصهم وتقواهم عليهم في دنياهم ؛كي ينعموا بها ،وليعلموا أنَّ عبادته تعالى وتقواه ليست مسألة منعزلة عن واقع الحياة. [6]

---

(1)الاعتقاد : أبو بكر البيهقي ،تحقيق: أحمد عصام الكاتب ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ،الطبعة: الأولى، 1401 ص38

(2)التوحيد جوهر الحضارة الإسلامية إسماعيل راجي الفاروقي ،المعهد العالي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى 1436هـ-20215م ص17

(3)من سورة لقمان الآية :20

(4)سورة النحل الآية:14

(5)سورة يس:البينة71-73

(6)ينظر:في ظلال القرآن: ج3 ص1338

وقد استفاضت به السور المكية،قال تعالى في سورة الأنعام لِتُنذِرَ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن ﴿٥﴾ [1]وفي سورة الكهف لِتُنذِرَ فَهِيَ إِلَىٰٓ ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ ﴿٥﴾[2]،وفي سورة الروم لِتُنذِرَ تُنذِرَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا ﴿٥﴾ [3]،وفي سورة الجن لِتُنذِرَ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ ﴿٥﴾ [4].

ولعله تحفيز من الله تعالى للمسلمين ؛لنتبين منه المقاصد القرآنية الخيرية، كما تدل هذه الآيات على أن الإيمان بالله ليس فقط هذا الجانب النظري من الاعتقاد؛بل إنه يرتبط بالواقع ارتباطًا وثيقًا،قال تعالى في سورة الأعراف لِتُنذِرَ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ ﴿٥﴾ [5].

قال المراغي–رحمه الله–:" أي ولو أن أهل مكة ومن حولهم من أهل القرى آمنوا بما دعاهم إليه خاتم الرسل ﷺ من عبادته تعالى وحده واتّقوا ما نهاهم عنه من الشرك والفساد فى الأرض بارتكاب الفواحش والآثام؛ لفتحنا عليهم أنواعًا من بركات السماء والأرض لم يعهدوها من قبل، فتكون لهم أبواب نعم وبركات غير التي عهدوا فى صفاتها ونمائها وثباتها وأثرها فيهم، فأنزلنا عليهم الأمطار النافعة التي تخصب الأرض وتكسب البلاد رفاهية العيش، وآتيناهم من العلوم والمعارف وفهم سنن الكون ما لم يصل إلى مثله البشر من قبل."[6]

---

(1)سورة الأنعام:82

(2)سورة الكهف الآية:30

(3)من الآية : 47 سورة الروم

(4)سورة الجن الآية 16

(5)سورة الأعراف الآية :96

(6)تفسير المراغي ج9 ص14

وقال تعالى في سورة النحل لِنُنذِرَ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ ﴿٥﴾[1]،قال ابن عاشور"وهذا وعد بخيرات الدنيا،وأعظمها الرضى بما قسم لهم وحسن أملهم بالعاقبة والصحة والعافية وعزة الإسلام في نفوسهم."[2]

وهكذا توالت الآيات في السور المكية تربط بين عبادة الله تعالى وتقواه، وأثر ذلك على حياة المؤمن من طيب العيش ورغده،قال تعالى في سورة نوح لِنُنذِرَ [illegible] وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ ﴿٥﴾ [3]

كما بيّن تعالى أنه مهما وصل الإنسان إلى مراتب الرقي والتحضر وسعة الرزق ؛فلا فائدة منها ما دامت لم ترشده إلى وحدانية الله تعالى؛ومن ثم فقد وصف الله تعالى أفعال قوم عاد–مع كونها مظاهر حضارية بالمفهوم العمراني–بالعبث لما لم تقربهم من معرفة الله تعالى،ليدل ذلك على أن مظاهر التقدم والرغد المادية لا تعد مقومًا من مقومات الحضارة إذا خلا من الإيمان بالله تعالى ووصف الله حضارتهم في سورة الشعراء،وهي من السور المكية بقوله جل جلاله لِنُنذِرَ قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ [illegible] ﴿٥﴾ [4]

قال ابن باديس:" ومن هذه الآية وحدها نستفيد أنَّ عادًا كانت أشد الأمم قوة، وأنها ما بلغت هذه الدرجة من القوة إلاّ بمؤهلات جنسية طبيعية للملك، وتعمير الأرض، وأن تلك المؤهلات فيها وفي غيرها من شعوب العرب هي التي أعدتهم للنهوض بالرسالة الإلهية،وإنَّ القرآن لا ينكر عليهم هذه المؤهلات،وإنما ينكر عليهم لوازمها ولا ينكر عليهم القوة والعظمة، وإنما ينكر عليهم أن يجعلوها ذرائع للباطل والبغي

---

(1)سورة النحل الآية:97

(2)التحرير والتنوير ج14 ص273

(3)سورة نوح الآيات من 10–12

(4)سورة الشعراء الآيات 128–130

ومحادة الله؛ بدليل قوله لهذه الأمة: لِنُنذِرَ ۝٥ [1]،فهو يضمن لهم أنهم إن آمنوا وعملوا الصالحات يزيد قوتهم تمكيناً وبقاء."[2]

وهنا يجدر بنا الانتقال إلى المبحث الثالث؛ والذي يتحدث عن دور التنزيل المكي في تأصيل الفكر الحضاري من خلال ترسيخ مبدأ العدل.

المبحث الثالث:دور التنزيل المكي في تأصيل الفكر الحضاري من خلال ترسيخ مبدأ العدل:

تمهيد :

تعريف العدل في اللغة:

كلمة "العدل" في اللغة لها عدة معان،وقد استعمل القرآن الكريم الكثير منها نذكر بعضه فيما يلي:**أولًا:**الإنصاف عند فصل الحكومة ،ويكون في الحكم والقول [3]،على ما في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله **صلى الله عليه وسلم** ،ومنه قوله تعالى: لِنُنذِرَ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ ۝٥[4] أما العدل في القول فيعني الإنصاف أي:إذا تكلمتم بين النَّاس فأَنْصِفُوا وقولوا الحَقَّ[5]،ومنه قوله تعالى: لِنُنذِرَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ۝٤٥ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٥ [6]

---

(1)سورة هود الآية:52

(2)تفسير ابن باديس:محمد بن باديس الصنهاجي ،علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان،الطبعة: الأولى، 1416هـ – 1995م ص394.

(3)ينظر:فتحُ البيان في مقاصد القرآن:محمد صديق خان القِنَّوجي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،صيدا بيروت عام النشر: 1412 هـ – 1992 م ج3 ص154.

(4)من سورة النساء الآية :58.

(5)الهداية إلى بلوغ النهاية:مكي بن أبي طالب ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م ج3 ص2242.

(6)من سورة الأنعام الآية :152.

ثانيًا: المساواة،ومنه قوله تعالى لِتُنذِرَ مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ ﴿٥﴾ [1]،قال الرازي–رحمه الله–يقال:عدل الشيء بالشيء إذا سواه به،ومعنى يعدلون يشركون به غيره.[2]

ثالثًا:العَدْلَ: المَرْضيُّ من الناسِ قولُهُ وحُكْمُهُ .[3]وأكثر تناوله عند علماء رجال الحديث.

رابعاً:الفدية،ومنه قوله تعالى: لِتُنذِرَ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوۡمًا ﴿٥﴾[4]أي:"لو تَفْتَدِي بكل فداء يَوْمئذٍ."[5]،ومنه قوله تعالى: لِتُنذِرَ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ ﴿٥﴾ [6]ويبينه قوله تعالى لِتُنذِرَ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا ﴿٥﴾ [7]

خامسًا:المثل،عَدْلُ الشَّيْءِ وعِدْلُه سَوَاء أي مثله.[8]ومنه قوله تعالى لِتُنذِرَ ﴿٥﴾[9]قال الأخفش:"يريد:أو عليه مثلُ ذلك َ من الصيام."[10]

---

(1)سورة الأنعام الآية:1.

(2)مفاتيح الغيب :الرازي ج12 ص479.

(3)الزاهر في معاني كلمات الناس :أبو بكر الأنباري، تحقيق: د حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، 1412 هـ -1992 ج1 ص146.

(4)من سورة الأنعام الآية :70.

(5)تهذيب اللغة : محمد بن أحمد بن الأزهري، أبو منصور الهروي،تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، 2001م ج2 ص124.

(6)من سورة البقرة الآية:123.

(7)سورة المعارج الآية 11.

(8)ينظر:تهذيب اللغة: أبو منصور الهروي :"باب العين والدال مع اللام"ج2 ص124.

(9)من الآية :95 سورة المائدة .

(10)معاني القرآن للأخفش تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1990 م ج1 ص288،قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك:أو على قاتل

سادسًا:اعتدل أي استقام،ومنه قوله تعالى: لِنُنذِرَ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ ﴿٥﴾[1]و"عَدَلَكَ"أي:عدل بعضك ببعضك فجعلك مستويًا معتدلًا وهو في معنى "عدّلك" (2)

ومن الألفاظ المرادفة للعدل لفظ القسط:وقد استعمل في اللغة بمعنى العدل والجور أيضا فهو من المشترك اللفظي،وقد ورد لفظ القسط في القرآن الكريم خمس عشرة مرة كلها بمعنى العدل؛ثمانية مواضع في سور مكية ؛منها قوله تعالى لِنُنذِرَ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ﴿٥﴾ (3)وقوله تعالى لِنُنذِرَ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ ﴿٥﴾[4]وقوله تعالى لِنُنذِرَ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ ﴿٥﴾ (5)

العدل في الاصطلاح:

دارت التعريفات الاصطلاحية للعدل بين أمرين :

أحدهما:التوسط أي؛الاعتدال في الأمور من غير زيادة ولا نقصان، قال الإمام الرازي–رحمه الله–:"العدل هو عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط."(6)

الصيد محرِمًا، عدلُ الصّيد المقتول من الصيام، وذلك أن يقوّم الصيد حيًّا غير مقتول قيمته من الطعام بالموضع الذي قتله فيه المحرم، ثم يصوم مكان كل مدٍّ يومًا. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم عَدَل المدَّ من الطعام بصوم يوم في كفَّارة المُوَاقع في شهر رمَضَان.[ينظر:جامع البيان ج10 ص42 ، الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ،برقم(2600)كتاب:"الهبة وفضلها والتحريض عليها"،باب:"إذا وهب هبة فقبضها الآخر ولم يقل قبلت"ج3 ص140 .

(1)سورة الانفطار الآية :7.

(2)معاني القرآن للأخفش : تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي، القاهرة. الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1990 م ج2 ص570.

(3)من سورة الأنبياء الآية 47.

(4)من سورة الأنعام الآية 152.

(5)من سورة الأعراف الآية 29.

(6)مفاتيح الغيب ج20 ص259.

ثانيهما: قال ابن منظور–رحمه الله–:العَدْل:ما قام في النفوس أنه مستقيم،وهو ضد الجور."[1]

وعرفه الجرجاني–رحمه الله– فقال:"عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينًا."[2]

وقال ابن عطية–رحمه الله–العدل هو:"فعل كل مطلوب من عقائد وشرائع وسير مع الناس في آداء الأمانات،وترك الظلم والإنصاف وإعطاء الحق."[3]

ولا تناقض بين التعريف الأول والثاني، فالتوسط والاعتدال في الأمور خُلق يلزم وجوده بين العباد لصلاح المجتمعات.

العدل قيمة اجتماعية ثابتة لازمة للحضارة والعمران ،ويعد رسوخها في الأمم دليلًا قويًا على الرقي الحضاري للمجتمعات،وتدل عناية الفترة المكية بترسيخ قيمة العدل ؛على أن اللبنة الأولى لبناء المجتمع الإسلامي الجديد بدأت في مكة قبل هجرة النبيﷺ،فهي تناسب الظروف الاجتماعية والسياسية التى كانت سائدة في هذه الفترة ،فجاءت السور المكية منددة بالترف والإسراف والاعتداء على أموال الغير بالباطل ،ومصححة للأوضاع التي تحيط بالعلاقات التجارية من الطمع والتغابن والتطفيف ،وكذلك تناولت هذه الفترة الحديث عن العدل في الحكم والقضاء والشهادة:"ويكفي أن نعلم أنه من بين ثمانية وعشرين موضعًا من القرآن ورد فيها لفظ العدل، –فضلًا عن المواضع الأخرى التي ورد فيها معناه مثل ؛القسط ،الحق ،النهي عن الظلم– ورد ثلاثة عشر منها في مكة ؛وهو ما يجعلنا ندرك الأهمية البالغة للدعوة إلى العدل في الرسالة الجديدة ،مما يعين على فهم ظاهرة غلبة عنصر المستضعفين في البنية

---

(1)لسان العرب :ابن منظور فصل العين المهملة ج11 ص430.

(2)التعريفات: الجرجاني ص47.

(3)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :ابن عطية الأندلسي ج3 ص416.

الاجتماعية للجماعة الإسلامية الأولى، والإقبال المتزايد من الشعوب المستضعفة على الالتحام بدعوة الإسلام ."[1]

وقد انتظم الحديث عن قيمة العدل في القرآن الكريم المكي والمدني؛لعدم تصور قيام فكر حضاري بدونها، ولعل تخصيص تناولها في التنزيلات المكية يدل على أهميتها العظمي؛ حيث لم تكن للمسلمين أرض يمكن أن يمارس عليها أي نوع من السيادة .

قال الشيخ محمد أبو زهرة–رحمه الله–:"ويلاحظ أنَّ مبادئ العدالة جاءت مع وجود الشريعة الإسلامية، وقد دعا إليها القرآن الكريم في مكة والمدينة؛ لأن العدالة حق ابتدائي لا يختلف في دولة عن دولة،فهو يتعلق بالنفس الإنسانية في ذاتها."[2]

ونحن إذا تأملنا الحديث عن العدل في التنزيل المكي من ناحية كونه مبدأ من مبادئ رعاية حقوق العباد ،وجدناه يدور حول محورين **أولهما:** العدل الإلهي،والذي يعني عدل الله تعالى في معاملته لعباده ،**وثانيهما** : العدل كميزان شرعي بين العباد يضبط التعامل بينهم،**وسنناقش في المطالب الآتية دور العدل في تأصيل الفكر الحضاري من خلال التنزيل المكي.**

المطلب الأول:دور العدل الإلهي في تربية نفوس آمنة مطمئنة.

جاء الحديث عن العدل الإلهي في فترة التنزيل المكي مناسبًا إلى حد كبير لأوضاع الواقع الجاهلي في أول بعثة النبي ﷺ لحاجة النفوس التي كانت مشبعة بشتى أنواع الظلم له؛ كي تطمئن وتسكن إلى عدل الله وقضائه في الدنيا والآخرة .

وهو ما يثبت أن هدف القرآن المكي في إثبات قضية البعث والجزاء؛لم يكن نظرة تشاؤمية،كما ذكر المستشرق المجري جولد تسيهر حيث ينتقد القرآن المكي بقوله:"ولهذا نراه في نظرته الخاصة بالدار الآخرة يميل إلى جانب التشاؤم ،أما

---

(1)حقوق المواطنة:راشد الغنوشي –المعهد العالى للفكر الإسلامي ،الطبعة الأولى تونس 1410–1989ص36.

(2)المعجزة الكبرى: محمد ابن أبي زهرة ،الناشر: دار الفكر العربي ص20.

التفاؤل فهو نصيب المصطفين للجنة دون غيرهم ،ومن ثم لم يبق له بريق من الأمل في هذا العالم الأرضي"[1]

ومن ثمار الفكر الحضاري التي من الممكن أن نلمسها من خلال مناقشة العدل الإلهي في التنزيل المكي؛ أنه يعد ربطًا منطقيًا بين أفعال الإنسان في الدنيا ومجازاته عليها في الآخرة ،والذي يجعل نفس الإنسان تطمئن إلى أنه لا يجازى إلا على قدر عمله؛إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر ،ومن ثم يرغبه في اتقان العمل للحصول على خير الجزاء، وقد ظهر هذا في الكثير من الآيات المكية التي تبين أن جزاء العباد يكون على قدر العمل،فقال تعالى في سورة يونس لِيُنذِرَ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ ﴿٥﴾[2]،وفي سورة الأنبياء لِيُنذِرَ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٥﴾[3]وفي سورة النجم لِيُنذِرَ ﴿٥﴾[4]،وفي سورة يونس لِيُنذِرَ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ ﴿٥﴾[5]وسنناقش فيما يلي ،كيف أن التوجيهات الإلهية بإقامة العدل ،قد تعمل على صلاح العلاقات بين الناس؛من خلال التصدي للمعاملات الفاسدة في المجتمع.

المطلب الثاني:دور العدل في التصدي للمعاملات الفاسدة .

قام التأسيس الفكري للمجتمع المسلم في مكة على قواعد العدل والمساواة،وترسيخ الثقة بين الأطراف في المعاملات والعهود،على الرغم من أن الجوانب التشريعة والأحكام لم تكن موضع أولوية في الفترة المكية؛إلا أن التوجيهات الإلهية بالعدل

---

(1)العقيدة والشريعة في الإسلام :جولد تسيهر نقله إلى العربية وعلق عليه:د محمد يوسف موسى،د على حسن عبد القادر ص15.

(2)سورة يونس الآية 44.

(3)من الآية 47 سورة الأنبياء .

(4)سورة النجم الآية 39.

(5)سورة يونس الآية 44.

اتسعت لتشمل أغلب نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية؛لينشئ وينظم مجتمعًا حضاريًا،ويكفل له التماسك المجتمعي.

ومن ثمار الفكر الحضاري للعدل في فترة التنزيل المكي ؛أن الحديث عنه جاء ليشمل العدل في كل صور المعاملات المترتبة على الأقوال ،وكذلك الأفعال.

أما المعاملات القائمة على الأقوال: فيكفي كي نعلم أهمية الفترة المكية في التأسيس للعدل في الأقوال ؛أن ما نزل على النبي ﷺ في أول البعثة،ومنه قوله تعالى لِتُنذِرَ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ ۝٥[1]في سورة النجم ؛جاء ليبين أن الاستقامة والاعتدال والسّداد في القول أساس الرسالة ،وأن :" الرسول ﷺ راشد مرشد تابع للحق، ليس بضالّ ولا هو بسالك للطريق بغير علم، ولا هو بغاوٍ يعدل عن الحق قصدًا إلى غيره، وبهذا نزه الله رسوله وشرعه عن مشايعة أهل الضلال." [2]

وهو ما يؤكد أن الموضوعات التي تناولتها الرسالة في أول بعثة النبي ﷺ لم تكن معالجات مشتتة؛ كما زعم بعض المستشرقين.[3] ،فلا شك أن استقامة القول ؛من أهم القيم الحضارية التي لا غنى عنها في قيام الحضارات .

كما نجد الأمر الإلهي بالعدل يشمل جميع المعاملات القائمة بين الناس بواسطة الكلام،والتي يعد تجاوز العدل فيها مضيعًا للحقوق.

قال الطاهر بن عاشور-رحمه الله-:" قال تعالى لِتُنذِرَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ۝٤٥ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ۝٢[4]هذا جامع كل المعاملات بين الناس بواسطة الكلام وهي

---

(1)سورة النجم الآيات:1-3

(2)تفسير المراغي: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي ،الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م ، ج27 ص44

(3)القرآن :نزوله تدوينه ترجمته تأثيره :بلاشير ،ترجمه إلى العربية :رضا سعادة ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1974 ص55

(4)من سورة الأنعام الآية :152

الشهادة،والقضاء،والتعديل،والتجريح،والمشاورة،والصلح بين الناس،والأخبار المخبرة عن صفات الأشياء في المعاملات:من صفات المبيعات،والمؤاجرات،والعيوب وفي الوعود،والوصايا،والأيمان وكذلك المدائح والشتائم كالقذف، فكل ذلك داخل فيما يصدر عن القول،والعدل في ذلك أن لا يكون في القول شيء من الاعتداء على الحقوق."[1]

وقد كان نزول قوله تعالى لِتُنذِرَ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِّتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا ﴿٥﴾[2] في مكة بمثابة خطاب مجمل لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع المسلم.

قال الطاهر بن عاشور–رحمه الله–:"فالعدل هنا كلمة مجملة جامعة،فهي بإجمالها مناسبة إلى **أحوال المسلمين حين كانوا بمكة**،فيصار فيها إلى ما هو مقرر بين الناس في أصول الشرائع،وإلى ما رسمته الشريعة من البيان في مواضع الخفاء،فحقوق المسلمين بعضهم على بعض من الأخوة والتناصح قد أصبحت من العدل بوضع الشريعة الإسلامية."[3]

وكذلك المعاملات القائمة على الأفعال: فقد شملت هذه التوجيهات الإلهية تقويم العديد من المعاملات الاقتصادية الفاسدة؛والتي نتجت بسبب الطمع والتغابن والتطفيف في مكة قبل بعثة النبيﷺ.[4]

وقد استدعى التنزيل المكي الكثير من صور الطمع والتطفيف والغبن التى كانت سائدة في الأمم السابقة،والتي كانت سببًا في انهيار حضاراتها؛ليحذر من بشاعة

---

(1)التحرير والتنوير ج8 ص116

(2)سور النحل الآية :90

(3)التحرير والتنوير: ج14 ص255

(4)لا يخفى حجم الاقتصاد المكي قبيل بعثة النبي ﷺ وحجم التجارة في قريش ،فقد استطاعت قريش أن تسير قوافل تجارية كبيرة الحجم كثيرة الإبل يشارك فيها كل المكيين غنيهم وفقيرهم سادة وعبيد[ينظر: إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، فكتور سحاب،المركز الثقافي العربي،الطبعة بيروت، 1992م، صـــ254]

عاقبته،فقال تعالى حكاية عن شعيب- عليه السلام- لِتُنذِرَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ ﴿٥﴾[1] وهو يحمل العديد من صور اغتصاب الحقوق وانتقاصها تحدث عنها الشيخ محمد أبو زهرة-رحمه الله-فقال:"أما النهي عن بخس الناس أشياءهم نهي عن كل معاملة فيها أكل مال الغير بالباطل، كالربا والغش والتدليس والخيانة والرشوة والسرقة والاغتصاب وغير ذلك من نقص لأموال الناس وأكل لها بالباطل،وإن التعامل الآثم واستحلال أخذ الأموال بالباطل،وسيادة الفسوق في المعاملات يؤدي إلى التناحر وتقطيع أواصر المجتمع،ولذا قال معقبًا:" لِتُنذِرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرٗا ﴿٥﴾[2]والعثو تنقيص الحقوق واغتصابها،وكل معاملة فاسدة."[3]

وقد تكرر هذا النداء في التنزيل المكي كثيرًا،ومثله قوله ﷻ لِتُنذِرَ وَتَذۡكِرَىٰ وَأَنَّ قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴿٥﴾ [4] لِتُنذِرَ ﴿٥﴾ [5]ومنه أيضا قوله ﷻ في سورة الرحمن لِتُنذِرَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا ﴿٥﴾ [6]لذا نجد القرآن الكريم في فترة التنزيل المكي يندد ويبين أبشع صور حب المال وجمعه،فقال ﷻ: لِتُنذِرَ بُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ﴿٥﴾[7]

وقد تناولت فترة التنزيل المكي جانبًا كبيرًا من تطبيقات العدل في الحكم والقضاء من خلال عرضها للقصص القرآني ،كان هدفها تحقيق استقامة العلاقات بين الناس ؛ليبين لنا المنهج الإلهي السليم الذي شرعه المولى عز وجل لأنبيائه في بيان التعامل

---

(1)سورة هود 85

(2)من الآية : 74 سورة الأعراف

(3)زهرة التفاسير ج7 ص3740

(4)سورة الإسراء الآية :35

(5)سورة الشعراء الآية :182-183

(6)سورة الرحمن الآية :9

(7)سورة الفجر الآيات 19-20

مع العديد من الخصومات وتصفية النفس من الشحناء والبغضاء التي قد تعلق بها إثر وقوع الظلم ، فنجد في سورة يوسف قوله تعالى لِنُنذِرَ عَلَيۡهِۚ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ ﴿٥﴾[1] يعرض الصورة العادلة لتطبيق حد السرقة في شريعتهم. قال الطاهر بن عاشور-رحمه الله-:"فالمعنى أن ذاته تكون عوضًا عن هذه الجريمة، أي أن يصير رقيقًا لصاحب الصواع ليتم معنى الجزاء بذات أخرى، وهذا معلوم من السياق إذ ليس المراد إتلاف ذات السارق؛لأن السرقة لا تبلغ عقوبتها حد القتل. "[2]

ويتكرر المعنى نفسه في قصة يوسف-عليه السلام-،قال تعالى لِنُنذِرَ [illegible] وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن ﴿٥﴾ [3]

قال ابن عاشور :"يدل على أن شريعتهم ما كانت تسوغ أخذ البدل في الاسترقاق، وأن الحر لا يملك إلا بوجه معتبر. "[4]

ثم في **قصة سليمان-عليه السلام-** مع الخصمين اللذين انطلقت غنم أحدهما في زرع الآخر فأفسدته،صورة أخرى من صور الإشارة إلى خطورة الفصل في الخصومات التي تقع بين الناس،على استمرار العلاقات الإنسانية بينهم. قال تعالى لِنُنذِرَ مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ ﴿٥﴾ [5]

---

(1)سورة يوسف الآية 75

(2)التحرير والتنوير ج13 ص30

(3)سورة يوسف الآية 78

(4)التحرير والتنوير ج13 ص30

(5)سورة الأنبياء الآية 78-79

فقد ألهم الله سيدنا سليمان–عليه السلام–حكمًا أحكم،وفهمه الوجه الأصوب الذي لا يُكتفى فيه بمجرد التعويض؛بل يتعداه إلى بناء المجتمع وتعميره ، ونظائرها في قصص المرسلين والأنبياء تقول بلا خفاء ؛إن العدل ركن ركين فى العمران ،وأساس لا غنى عنه في العلاقات الإنسانية ؛إذ يؤدي إلى علاج النفوس من الأمراض التي قد تصيبها إثر الشعور بالظلم ،ومن ثَم اجتماعها وتآلفها وهو ضروري للنهوض بحال الأمة ،وهو ما يجعلني أناقش دور التنزيل المكي في تأصيل الفكر الحضاري من خلال ترسيخ مبدأ التآلف والاجتماع في المبحث التالي.

المبحث الرابع:دور التنزيل المكي في تأصيل الفكر الحضاري من خلال ترسيخ مبدأ التآلف والاجتماع.

تعريف التآلف والاجتماع في اللغة والاصطلاح:

التآلف والاجتماع كلمتان مترادفتان ،فالتآلف في اللغة:تآلفَ يتآلف، تآلُفًا، فهو متآلِف ،تَأَلَّفَ القوم تَأَلُّفاً: اجْتَمَعُوا، كائْتَلَفُوا ائْتِلافاً،على وئام وإخاء .[1]

وكذلك :الْجِيمُ وَالْمِيمُ وَالْعَيْنُ أصل واحد،يدل على تضام الشيء،يقال جَمَعْتُ الشيء جَمْعًا،وجَمَعَ الشيءَ عن تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً،وتجمَّع الْقَوْمُ: اجْتَمَعُوا أَيضاً.[2]

ويتفق التعريف الاصطلاحي لكل من التآلف والاجتماع لتعريفهما في اللغة ،ويبين ذلك قول الأوزاعيّ–رحمه الله–:" كتب إليّ قتادة إن يكن الدّهر فرّق بيننا فإنّ ألفة الله الّذي ألّف بين المسلمين قريب."[3] ،وفرّق عكس جمع.

ولم يرد كلا اللفظين في القرآن الكريم؛على هذه الصيغة ؛إنما ورد الاجتماع على صيغة "**جميعًا**" كما في قوله تعالى لِنُنذِرَ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥[1]

---

(1)ينظر:تاج العروس باب(ا ل ف)ج23 ص37 ،معجم اللغة العربية المعاصرة باب (ا ل ف)ج 1 ص110

(2)ينظر:مقاييس اللغة :أحمد بن فارس باب (جمع) ج1 ص479 ،لسان العرب:ابن منظور ، فصل الجيم ج8 ص53

(3)الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي ج4 ص101

كما ورد بصيغة الفعل الماضي في قوله تعالى لِتُنذِرَ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ۝٥ [2] والمضارع في قوله تعالى:" لِتُنذِرَ قَوْمًا لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٧ ۝٥[3]وقد ورد **(الائتلاف)** بلفظ **(ألَّف)** في قوله سبحانه وتعالى لِتُنذِرَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ۝٤٥ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ ۝٥ [4]

ولم يختلف علماء التفسير في أن الاجتماع يرادف الألفة، قال الطبري –رحمه الله–:" لِتُنذِرَ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥ [5]:"وتمسَّكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عَهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله."[6]

وقد كان الحديث عن الألفة والاجتماع في مكة من المقاصد القرآنية الضرورية؛حيث كانت الحاجة مُلحة إلى ائتلاف قلوب المسلمين الأوائل:"فإن في اجتماع المسلمين على دينهم،وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أنه بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام ."[7]،**وسنناقش في المطالب الآتية دور التآلف والاجتماع في تأصيل الفكر الحضاري من خلال فترة التنزيل المكي.** **<u>المطلب الأول: رفض أسباب التفكك المجتمعي</u>**

---

(1)من الآية :103 سورة آل عمران

(2)سورة الهمزة الآية :2

(3)من الآية : 26 ،سورة سبأ

(4)سورة الأنفال الآية :63

(5)من الآية 103سورة آل عمران

(6)جامع البيان في تفسير القرآن ج7 ص70،ينظر: تفسير المنار :ج4 ص39

(7)تفسير السعدي ج1 ص141

لم تكن معالجة الفكر العقدي في مكة مجرد معالجة نظرية منفصلة عن الواقع،بل وضعت العقيدة للمسلم تطبيقًا عمليًا مؤثرًا؛لينعم المجتمع بثمار التكافل والاجتماع ،فكانت العقيدة بمثابة :"محفز سلوكي عملي قيمي، وعلى وفقها لا بد من التحلي بأنماط سلوكية مهمة ترتقي بالإنسان عقلًا وضميرًا وسلوكًا."[1] ومن ثم شاركت فترة التنزيل المكي بالعديد من أشكال الاعتراض على الأسباب التي أدت إلى صعوبة حدوث تماسك بين طبقات المجتمع، **نذكر منها ما يلي:**

أولا:ذم التفرّق والاختلاف حول عقيدة التوحيد.

لا شك أن أهم أسباب تمزق الأمم وتفككها هو تعدد الملل والأهواء،التي تحول دون اتفاق الكلمة وانتظام الشتات؛ومن ثَم فإن الحديث عن وحدة الاعتقاد في فترة التنزيل المكي،كان له عظيم الأثر في تحقيق وحدة المجتمع،قال تعالى في سورة الشورى لِتُنذِرَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوۡمَا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلۡنَا [2]

فإن الشريعة واحدة ودعوة الأنبياء إليها واحدة ،قال الشيخ الشنقيطي–رحمه الله– عند تفسير قوله تعالى لِتُنذِرَ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ ۝٥[3]من سورة الأنبياء–:"أي:إن هذه شريعتكم شريعة واحدة،ودينكم دين واحد،وربكم واحد فلا تتفرقوا في الدين."[4]

---

(1)من روائع حضارتنا :مصطفى السباعي ،الطبعة الثانية،بيروت ،دار الإرشاد 1968 ص30

(2)من الآية 13 سورة الشورى

(3)سورة الأنبياء الآية:92

(4)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين الشنقيطي ج7 ص61

أخرج الإمام البخاري عن أبي هريرة–رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد."[1]

فالاجتماع والوحدة بين المسلمين ؛هما أهم الأهداف التي تحققت بسبب وحدة الاعتقاد والشريعة،قال الإمام ابن تيمية–رحمه الله– إن سبب الاجتماع والألفة جمع الدين والعمل به كله،وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما أمر به باطناً، وظاهرًا."[2]

فجاءت الآيات تأمر بوحدة الاعتقاد وتبين عاقبة التفرق في الأمم السالفة،قال تعالى في سورة الروم لِتُنذِرَ ۝٥ [3]

وقد ناقش ابن عاشور–رحمه الله– قوله تعالى لِتُنذِرَ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٥ [4]من سورة الأنعام راميًا إلى أثره العظيم في بيان المنهجية المرجوة من أهل الإيمان في مناقشة قضاياهم،فقال:" وهذه حالة ذميمة من أحوال أهل الشرك يراد تحذير المسلمين من الوقوع في مثلها، فإذا اختلفوا في أمور الدين الاختلاف الذي يقتضيه اختلاف الاجتهاد أو اختلفوا في الآراء والسياسات لاختلاف العوائد فليحذروا أن يجرهم ذلك الاختلاف إلى أن يكونوا شيعًا متعادين متفرقين ."[5] فانقسام الناس إلى أحزاب

---

(1)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب :"أحاديث الأنبياء"،باب: قول الله تعالى :" لِتُنذِرَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ ۝٥(سورة مريم: ١٦)،. ج4 ص176 رقم (3443) ،وأولاد العلات الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى [ينظر:فتح الباري:ابن حجر ج6 ص489]

(2)مجموع الفتاوى ج1 ص17.

(3)سورة الروم:31–32.

(4)سورة الأنعام الآية 159.

(5)التحرير والتنوير ج21 ص96.

وطوائف يؤدي إلى فقدان القوة قال تعالى لِتُنذِرَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ ﴿١٢﴾ [1]

لذا فيعد الاختلاف في فروع الدين من الأمور التي تؤرق اجتماع الأمة ،وهي مذمومة عند بعض العلماء،قال الشاطبي رحمه الله":الاختلاف منفي عن الشريعة بإطلاق؛ لأنها الحاكمة بين المختلفين؛ لقوله تعالى : لِتُنذِرَ ﴿١٠﴾ [2] إذ رد التنازع إلى الشريعة، فلو كانت الشريعة تقتضي الخلاف لم يكن في الرد إليها فائدة."[3]

وهي مسألة خلافية بين العلماء يطول الحديث عنها، ولا شك أن وقوع الخلاف في الشرائع يوجب الفرقة والانقسام كوقوعه في العقائد فالخلاف كله شر.[4]

ثانيًا:رفض التمييز بين طبقات المجتمع.

جاءت فترة التنزيل المكي بما يؤكد رفض كل أشكال الاستعلاء والتمييز العنصري،ورد أفكار التقسيم والطبقية؛التي حاولت قريش فرضها على صحابة النبي

---

(1)سورة القصص الآية :4

(2)من الآية 59 :سورة النساء .

(3)الاعْتِصَام :الشاطبي (المتوفى: 790هـ)تحقيق ودراسة:الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل الصيني ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م ج3 ص193.

(4)والخلاف في أصل اللغة لا يحمل معنى المنازعة والمشاقة،فهو على ما جاء عند الراغب:أن يأخذ كل واحد طريقًا غير طريق الآخر في حاله أو قوله،أي من غير تنازع ولا شقاق ،كما يدل عليه تمام كلامه :"والاختلافُ والمخالفة: أن يأخذ كلّ واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخِلَاف أعمّ من الضدّ، لأنّ كلّ ضدّين مختلفان، وليس كلّ مختلفين ضدّين، ولمّا كان الاختلاف بين النّاس في القول قد يقتضي التّنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة"[المفردات ،ص294]،وهذه المنازعة هي واقع الناس ونفوسهم التي لا تحمل ذلك ،وصدورهم التي تضيق عند مخالفة غيرهم ،يجعل هذا الاختلاف سببًا إلى المنازعة .[ينظر:الفقه المقارن وآليات الترجيح :د محمد أحمد الخولي الطبعة الأولى 2024،دار النابغة،طنطا،مصر،ص114]

ﷺ،وقد ظهر ذلك من خلال ترفعهم عن مجالسة القلة المسلمة وخاصة من كان أقل منهم جاهًا ومالًا،كما أرادوا طرد ضعاف المؤمنين من مجلس النبي ﷺ وطلبوا من النبي ﷺ التفريق بينهم في شأن الدعوة ،عن سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– قال:" كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه،فأنزل الله ﷻ قوله تعالى: لِتُنذِرَ ۝٥[1] قال القرطبي:"وكان النبي ﷺ إنما مال إلى ذلك طمعًا في إسلامهم، وإسلام قومهم،ورأى أن ذلك لا يفوت أصحابه شيئا،ولا ينقص لهم قدرًا، فمال إليه فأنزل الله الآية."[2]

وقد كانت آيات القرآن تنزل بمواساة هذه الطبقة،وتدعو إلى الرفق واللين في التعامل معهم ،قال تعالى: لِتُنذِرَ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ ٥[3]،قال تعالى لِتُنذِرَ غَٰفِلُونَ ٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ ٥[4]أي:"وترفّق بمن اتبعك من المؤمنين، فإن ذلك أجدى لك، وأجلب لقلوبهم، وأكسب لمحبتهم، وأفضى إلى معونتك، والإخلاص لك."[5]

المطلب الثاني:التنديد بالجرائم والرذائل التي كانت منتشرة في المجتمع المكي

---

(1)من الآية 52 سورة الأنعام،الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب:الفضائل"باب:"في فضل سعد بن أبي وقاص" برقم(2413)ج4 ص1878

(2)تفسير القرطبي ،تحقيق :أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م ج6 ص431

(3)من الآية 28 سورة الكهف

(4)سورة الشعراء الآية 215

(5)تفسير المراغي ج19 ص111

من أثار الفكر الحضاري للاجتماع في الفترة المكية التشنيع على الرذائل والجرائم التي كانت منتشرة في شبه الجزيرة العربية قبل بعثة النبي ﷺ ؛لما كانت تحدثه هذه الجرائم من تقطيع أواصل الود والحب بين الناس،ولقد أدركت الطليعة الأولى من صحابة رسول الله ﷺ أثر المنهج القرآني في بناء مجتمع صحي سليم .

رُوي أن الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب عندما قدم على النجاشي[1] مدافعًا عن دعوة التوحيد،قال:"أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية،نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولًا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور،وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات؛ وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، ....."[2]

---

(1)قال ابن عبد البر:" وكان جعفر من المهاجرين الأولين، هاجر إلى أرض الحبشة، وقدم منها على رسول الله ﷺ حين فتح خيبر، فتلقاه النبي صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ وأعتنقه وقال: ما أدري بأيهما أنا أشد فرحًا، أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر؟ وكان قدوم جعفر وأصحابه من أرض الحبشة في السنة السابعة من الهجرة، واختط له رسول الله ﷺ إلى جنب المسجد، ثم غزا غزوة مؤتة، وذلك سنة ثمان من الهجرة، فقتل فيها رضي الله عنه. "[ينظر:الاستيعاب في معرفة الأصحاب :ابن عبد البر ج1 ص242].

(2)أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده حديث جعفر بن أبي طالب ج3 ص266،وقال أبو الحسن الهيثمي :" رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق، وقد صرح بالسماع"[ينظر مجمع الزوائد ، تحقيق: حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي، القاهرة ، 1414 هـ، 1994 م ج6 ص26]

ومن يتتبع التنزيل المكي؛ يجد أن معالجاته لقضايا الرسالة كانت عميقة ولها خطواتها المرتبة ،ولم تكن مشتتة كما زعم بعض المستشرقين.[1]فقوله تعالى لِنُنذِرَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ ۝٥[2] في سورة المدثر ؛وهي من أوائل ما نزل في الفترة المكية يأمر المولى ﷻ فيها النبي بهجر:"المعاصي والآثام الموصلة إلى العذاب فى الدنيا والآخرة؛ فإن النفس متى طهرت منها كانت مستعدة للإفاضة على غيرها، وأقبلت بإصغاء وشوق إلى سماع ما يقول الداعي."[3]

وهو ما يعني أولوية البدء بمعالجة النفس ،ومنعها عن كل ما يعلق بها من إثم ؛قد يحول دون وصول نور الدعوة للقلوب .

كما تجد التنزيل المكي قد وضع يده على أهم أسباب الجرائم الاجتماعية،وهو المال الذي هو مثار التحاسد والتعادي والبغي والعدوان والفتن والحروب ،فيخطو به نحو تطهير النفس بإخراجها من حالة الأنانية القبلية والتخلي عن البذل ،وهي بداية منطقية يحتاج إليها المجتمع المكي في ذلك الوقت فإن:"جماعة المسلمين فى مكة قبل الهجرة كانوا محصورين، ومنهم الموسر والمعسر وصاحب الثروة وذو الفقر المدقع، فوجب أن يقوم أغنياؤهم بكفالة فقرائهم وجوبًا دينيًا."[4]

فقال تعالى في سورة المعارج لِنُنذِرَ فَهِيَ إِلَىٰٓ ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ ۝٥[5]وقال تعالى في سورة البلد لِنُنذِرَ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١ إِنَّا ۝٥[6]وقال تعالى في سورة الضحى

---

(1)ينظر:القرآن :نزوله تدوينه ترجمته تأثيره :بلاشير ،ترجمه إلى العربية :رضا سعادة ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1974 ص55

(2)سورة المدثر

(3)تفسير المراغي ج29 ص126

(4)تفسير المراغي ج11 ص18

(5)سورة المعارج الآية :24-25

(6)سورة البلد من الآية 14-16

لِتُنذِرَ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ﴿٥﴾[1]،وغيرها الكثير من الآيات التي حثت على الصدقة في فترة التنزيل المكي.[2]

أي أن الصدقات كانت سبيلاً من سبل الإصلاح الاجتماعي؛ تطهّر أنفس الأفراد من أرجاس البخل، والدناءة ، والطمع ،والجشع، وتبعدهم عن أكل أموال الناس بالباطل من خيانة وسرقة وغصب فإن الأموال قوام الحياة المعيشية للفرد والمجتمع، فهى مثار التنازع والتخاصم، ومن ثم أوجب الدين على أصحاب الأموال من النفقات والصدقات ما يجعل الثروات وسيلة للسلام لا إلى الخصام. [3]

ومن المسارات الأخرى التي سلكها التنزيل المكي ؛ ليصحح بها بعض المعتقدات المنحرفة التي كانت تؤدي إلى انهيار كيان المجتمع وتفككه ،وهو وأد البنات وقتل الأبناء ،فقال تعالى في سورة النحل لِتُنذِرَ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا﴿٥﴾[4]،كما قال سبحانه وتعالى في قتل الأولاد خشية الفقر والإملاق في سورة الأنعام لِتُنذِرَ ﴿٥﴾ [5] وقال تعالى: لِتُنذِرَ وَتَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴿٥﴾[6]وقال تعالى في سورة الإسراء لِتُنذِرَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ ﴿٥﴾ [7]

---

(1)سورة الضحى من 9 –10

(2)مثل :سورة الليل من 5–10، سورة الفجر من الآيات من 17–20، سورة الذاريات الآية :19

(3)ينظر:تفسير المراغي ج11 ص18

(4)سورة النحل الآية 58–59

(5)سورة الأنعام الآية :151

(6)من سورة الأنعام الآية 151

(7)سورة الإسراء الآية 31

كما جاء في التنزيل المكي تقبيح فاحشة الزنا،وأنواع الزواج المحرمة التى كانت منتشرة قبل الإسلام لا نستطيع أن نخص منها وسطًا دون وسط أو صنفًا دون صنف،إلا أفرادًا من الرجال والنساء ممن كان تعاظم نفوسهم يأبى الوقوع في هذه الرذيلة،وكانت الحرائر أحسن حالًا من الإماء" [1] ،فقال تعالى في سورة الإسرء لِنُنذِرَ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا ٥[2]وكذلك نهى عن أكل أموال الناس بالباطل،والفساد في الأرض،فقال تعالى لِنُنذِرَ يُؤۡمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٥[3]

المطلب الثالث: الحث على الترابط بين ذوي القربات

من أثار الفكر الحضاري التي أصل لها الاجتماع في الفترة المكية ؛ما ورد عن التحذير والتنفير من قطع صلة الرحم،وربط هذا الفعل بالإفساد في الأرض،فقال تعالى: لِنُنذِرَ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١ إِنَّا نَحۡنُ ٥[4]،قال محمد أبو زهرة:"قطعهم ما أمر اللَّه به أن يوصل من الأرحام،والعلاقات الاجتماعية الفاضلة."[5]

كما وصّى على وصلها، فقال تعالى لِنُنذِرَ ٥ [6] قال البغوي- رحمه الله-:" يعني صلة الرحم، وأراد به قرابة الإنسان وعليه الأكثرون."[1]،وقال

---

(1)ينظر:الرحيق المختوم : صفي الرحمن المباركفوري،ص35

(2)سورة الإسراء الآية 32.

(3)سورة الإسراء الآية 34.

(4)سورة الرعد الآية :25.

(5)زهرة التفاسير ج8 ص3939.

(6)سورة الإسراء:26.

البيضاوي–رحمه الله–:" لِتُنذِرَ ۝٥ من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم."[2]

وذكر الله تعالى قاطعها في أوصاف الذين عتوا عن أمر ربهم،وخرجوا عن طريق الحق،فقال الله ﷻ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ ۝٥ [3]

وهذا إنما يدل على النظرة المبكرة لبناء مجتمع مترابط بدأ من مكة،مما يعني أنه كان هدفًا أصيلًا من أهداف الدعوة الإسلامية حتى قبل الهجرة إلى المدينة .

كما أن عناية القرآن الكريم في الفترة المكية لم تقتصر على الأبوين فقط ؛بل شملت ذوي القربى،قال تعالى في سورة النحل لِتُنذِرَ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ ۝٥[4] ،قال محمد أبو زهرة–رحمه الله–:"والأسرة في الإسلام ممتدة،ليست مقصورة على الأبوين أو الزوجين،بل إنها ممتدة تشمل الأقرباء أجمعين،يحسن إليهم الأقرب فالأقرب حتى يعمهم ويبرهم جميعًا،ولقد أخرج الإمام البخاري عن الصحابي الجليل أنس بن مالك–رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ :" من سره أن يبسط عليه رزقه،أو ينسأ في أثره فليصل رحمه. "[5]

---

(1)روي عن عبد الله بن عباس،والحسن بن على بن أبي طالب،وعكرمة–رضي الله عنهم– ،ينظر:الهداية إلى بلوغ النهاية:مكي بن أبي طالب،ج6 ص4182،معالم التنزيل:البغوى ،ج3 ص130،المحرر الوجيز :ابن عطية ،ج3 ص 443.

(2)أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج3 ص253.

(3)سورة محمد الآية :22.

(4)من الآية 90 سورة النحل .

(5)أخرجه الإمام البخاري كتاب:"البيوع"،باب:"من أحب البسط في الرزق"ج3 ص56، رقم(2067)،مسلم كتاب:"البر والصلة والآداب"،باب:"صلة الرحم وتحريم قطيعتها"،ج4 ص1982 ،رقم(2557).

وإن ذلك كله تقوية لبناء الأسرة على التواصل والمودة والرحمة ،فإنَّ المجتمع الكامل يتكون من أسر قوية وهي لبنة البناء، ولا يتكون بناء قوي إلا من لبنات قوية.[1]

وقد كان النبي ﷺ في خطابه لقومه على كفرهم ليّن معهم، وكانت مودتهم من الأمور المهمة لديه ﷺ قال تعالى لِتُنذِرَ مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ ﴿٥﴾[2]،كما كان النبي ﷺ لا يمنع أحدًا من الصحابة من صلة رحمه ؛أخرج الإمام البخاري في صحيحه أنَّ أسماء بنت أبي بكر–رضي الله عنهما– قالت: أتتني أمي راغبة، في عهد النبي ﷺ، فسألت النبي ﷺ: آصلها؟ قال: "نعم"[3]

قال ابن بطال–رحمه الله–:"صلة الوالدين المشركين واجبة بكتاب الله تصديقًا لحديث أسماء،وذلك قوله: لِتُنذِرَ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ﴿٥﴾[4]،فأمر ببرهما ومصاحبتهما بالمعروف وإن كانا مشركين ."[5]

المبحث الخامس:دور التنزيل المكي في تأصيل الفكر الحضاري من خلال ترسيخ مبدأ الحرية

تعريف الحرية لغة واصطلاحًا:

---

(1)ينظر:زهرة التفاسير ج1 ص291.

(2)من الآية 23 سورة الشورى .

(3)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب :"الأدب"باب:"صلة الوالد المشرك"، ج8 ص4 ،رقم(5978).

(4)سورة العنكبوت الآية:8

(5)شرح صحيح البخارى لابن بطال ،تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، 1423هـ – 2003م ج9 ص201.

(وَالْحُرُّ) **في اللغة:** نقيض العبد، والجمع أَحْرَارٌ وحِرارٌ،ويقال:هو من حُرِّيَّةِ قَوْمِهِ أي خَالِصِهِمْ.[1]

تعريف الحرية اصطلاحًا:

من التعريفات الحديثة والمعاصرة للحرية أنها تعني:"عمل الإنسان ما يقدر على عمله حسب مشيئته لا يصرفه عن عمله أحد غيره ."[2]

وعرف الطاهر بن عاشور الحرية ،فقال:"خاطر غريزي في النفوس البشرية، فبها نماء القوى الإنسانية من تفكير وقول وعمل،وبها تنطق المواهب العقلية متسابقة في ميادين الابتكار والتدقيق،فلا يحق أن تسام بقيد إلا قيدًا يُرفع به عن صاحبها ضُرٌّ ثابت أو يُجلب به نفعٌ ."[3]

ولعل تعريف ابن عاشور–رحمه الله–طويل ومفصل يكاد يكون شرحًا لمعنى الحرية ،تناول فيه الحديث عن أثر الحرية في تطوير المواهب والأفكار ،حدودها.

مفهوم الحرية كما ورد في القرآن :

لم ترد كلمة "**الحرية**" أو أحد مشتقاتها في القرآن الكريم بمفهومها الحديث والمعاصر؛بل جاءت مقابلة لمعنى الرق والعبودية؛ في قوله تعالى لِتُنذِرَ أَغۡلَٰلًا فَهِيَ ٥[4]كما وردت في الكفارات بمعني العتق وهو التخلص من الرق والعبودية ؛لذلك وردت مرتبطة بالرقبة في كل المواضع كما في قوله تعالى لِتُنذِرَيُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ

---

(1)ينظر:لسان العرب :ابن منظور ،فصل:"الحاء المهملة"ج4 ص182

(2)أصول النظام الاجتماعي في الإسلام:محمد الطاهر بن عاشور،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،الطبعة الثانية، ص160

(3)مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر عام النشر: ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م ج1 ص590

(4)سورة البقرة الآية :178

﴿٥﴾ [1] وقد عدَّ الفقهاء اللقيط حر في جميع الأحكام؛ لأن الحرية هي الأصل؛لأن الله خلق آدم وذريته أحرارًا، والرق عارض، فإذا لم يعلم فالأصل عدمه. [2]

علاقة المفهوم الشرعي للحرية بمفهومها المعاصر:

العتق في الإسلام سبيل التحرر والانفكاك من الظلم والضعف، وسببه الرق ،وهو أوضح صورة من صور الضعف،ومن ثم فإنَّ العتق في تناول أهل اللغة هو القوة ، قال الكمال بن الهمام:" وَالْعِتْقُ وَالْعَتَاقُ لغة عبارتان عن القوة ،ومنه عَتَاقُ الطَّيْرِ لِجَوَارِحِهَا، وَعَتَقَ الْفَرْخُ إذا قوي على الطيران ، وَفَرَسٌ عَتِيقٌ إذَا كَانَ سَابِقًا وذلك عن قوته ، والبيت العتيق الْعَتِيقُ لِاخْتِصَاصِهِ بِالْقُوَّةِ الدَّافِعَةِ عنه مِلْكَ أَحَدٍ فِي عَصْرٍ من الأعصار."[3]

ولقد جاء الإسلام ليقضي على مظاهر الاسترقاق التي أعيت البشرية ،فنجد القرآن المكي يبادر بالترغيب في إعتاق الرقاب ويجعلها من أحب القرب إلى الله تعالى ،فقال تعالى لِنُنذِرَعَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥﴾[4]،قال الطاهر بن عاشور:"وهذه الآية أصل من أصول التشريع الإسلامي **وهو تَشَوُّفُ الشارع إلى الحرية** ."[5]

قال الشيخ محمد عبده–رحمه الله–في تفسير قوله تعالى: لِنُنذِرَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥﴾[6]:"وفك الرقبة عتقها أو المعاونة عليه،وقد ورد في فضل العتق ما بلغ حد التواتر [1]

---

(1)من سورة النساء الآية :92،وكذلك في سورة المائدة الآية :89،سورة المجادلة الآية :3

(2)ينظر: البناية شرح الهداية بدر الدين العينى ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان ،الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م ج9 ص408

(3)فتح القدير: كمال الدين المعروف بابن الهمام ، دار الفكر ج4 ص430

(4)سورة البلد الآية:12-13

(5)ينظر:التحرير والتنوير ج30 ص355

(6)سورة البلد الآية: 13

فضلًا عما ورد في الكتاب،**وهو يرشد إلى ميل الإسلام إلى الحرية وجفوته للأَسْرِ والعبودية.**"[2]

هذا من ناحية الحديث عن التناول المباشر لكلمة "الحرية" في القرآن المكي؛أما إذا تحدثنا عن الحرية بالمعنى العصري المتداول، فتعتبر من أهم مظاهر الفكر الحضاري التي تُطالَب بها المجتمعات التي أعلنت تحضرها ورقيها،لمنزلتها في الحكم على تصرفات البشر وتقرير أحوالهم ولأهميتها في تحفيز طاقات الإبداع واستمرارها،قال ابن عاشور-رحمه الله-:" فبها نماء القوى الإنسانية من تفكير وقول وعمل، وبها تنطق المواهب العقلية متسابقة في ميادين الابتكار والتدقيق."[3]

وقال أبو زهرة-رحمه الله-:"في الحرية كمال الإنسانية وكمال التكليف الاجتماعي؛ ولأن في الحرية قوة وتحمل الأعباء وأن يكون جزءًا من المجتمع يسيره إلى الخير.[4]، **ونناقش في المطالب الآتية دور التنزيل المكي في تأصيل الفكر الحضاري من خلال ترسيخ مبدأ الحرية .**

المطلب الأول: التأصيل للمبدأ القرآني "لا إكراه في الدين"

من مظاهر الحرية في فترة التنزيل المكي؛التأصيل لمبدأ "**لا الإكراه في الدين**" من خلال الآيات التي تهدف إلى بيان سنة الله تعالى في بقاء الاختلاف بين عباده في الطبائع والعقائد،قال تعالى لِتُنذِرَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ

---

(1)ومنه ما رواه الصحابي الجليل أبو هريرة،عن النبي ﷺ قال: "من أعتق رقبة مؤمنة، أعتق الله بكل إرب منها إربا منه من النار"[أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب:"العتق"،باب:"فضل العتق"ج2 ص1147 رقم(1509)]

(2)تفسير جزء عم ،الجمعية الخيرية الإسلامية، الطبعة الثالثة ، 1341 ص90

(3)مقاصد الشريعة الإسلامية ج1 ص590

(4)ينظر:زهرة التفاسير ج1 ص525

﴿٥﴾[1]قال الإمام ابن كثير–رحمه الله–:" أي: لو شئنا لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهرًا، ولكنا لا نفعل ذلك؛ لأنا لا نريد من أحد إلا الإيمان الاختياري."[2]

وقد توالت الآيات في القرآن المكي ؛لتؤكد مبدأ عدم الإكراه،وأنَّ وجود الاختلاف بين الناس في العقائد هو سنة الله تعالى في خلقه، فقال تعالى في سورة هود لِنُنذِرَ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾ يٰسٓ ﴿١﴾ ﴿٥﴾[3] وقال تعالى في سورة يونس: لِنُنذِرَ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾ يٰسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٖ ﴿٥﴾ [4]،وقال تعالى في سورة الأنعام لِنُنذِرَ ﴿٥﴾[5]،قال الشيخ رشيد رضا–رحمه الله–:"أي ولو شاء الله تعالى جمعهم على ما جئت به من الهدى لجمعهم عليه بجعل الإيمان ضروريًا لهم كالملائكة، أو بخلقهم على استعداد واحد للخير والحق فقط، لا متفاوتي الاستعداد مختلفي الاختيار باختلاف العلوم والأفكار والأخلاق والعادات، كما اقتضته حكمته في خلق الناس،ولكنه شاء أن يخلق البشر على ما هم عليه من الاختلاف والتفاوت في الاستعداد،وما يترتب عليه من اختلاف أسباب الاختيار."[6]

إن المولى ﷻ قد فطر البشر على الفهم بدرجة تكفي لمعرفة المشيئة الإلهية بواحد من طريقين؛إما **الفطرة** فتكاد لا تنفض عنه الرغبة الملحة في التوجه إلى خالق هذا الكون وعبادته والخضوع له،أو **الاستنباط** من خلال ملاحظة السنن الإلهية

---

(1)سورة الشعراء الآية :4

(2)تفسير ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م ج6 ص135

(3)سورة هود الآية :118-119

(4)سورة يونس الآية :99

(5)من الآية :35سورة الأنعام

(6)تفسير المنار ج7 ص319

المبثوثة في الكون التي لا تتبدل ولا تتغير،وإليها يشير قوله تعالى لِنُنذِرَ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴿٥﴾ [1] لكونهما تجربة شخصية لكل فرد عاقل، يمتلك بهما القدرة على التفكير وصنع الرأي،وبذلك أوقفت عقيدة التوحيد كل أنواع الوصاية الفكرية،ولم تفرض أفكارًا وآراءً وعقائد تحقق مصالح ما لأشخاص بعينهم.

المطلب الثاني: العناية بمسألة الجدل الديني

ويدخل في هذا الباب عناية فترة التنزيل المكي بالحديث عن منهجية الجدل الديني،والتي تؤكد أن الإسلام لم يأت لمعاداة ومقاطعة من يخالفه؛بل جاء بنظام اجتماعي ايجابي يسمح بالخلاف والمناقشة؛لا سيما أن الإسلام رسالة عالمية:" ولا بد لنجاح أية دعوة عالمية من وجود مجتمع عالمي حر مفتوح يسمح للمخالفين له في الرأي والعقيدة أن يعيشوا في ظله." [2]**،ومن أهم ما يدل على عناية القرآن الكريم بمسألة الجدل الديني في فترة التنزيل المكي ما يلي:**

أولاً:وضع منهجية صريحة في مناقشة ومجادلة أهل الكتاب وغيرهم؛ أساسها الحكمة والموعظة الحسنة.

قال الشيخ المراغي–رحمه الله–عند تفسير قوله تعالى: لِنُنذِرَ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ﴿٥﴾ [3]:"أي ولا تجادلوا من أراد الاستبصار فى الدين من اليهود والنصارى إلا باللين والرفق،وقابلوا الغضب بكظم الغيظ،والشّغب بالنصح."[4]ونحوه قوله تعالى: لِنُنذِرَ جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ

---

(1)من الآية 43 سورة فاطر ،ينظر:التوحيد مضامينه على الفكر والحياة:إسماعيل راجي الفاروقي ص50

(2)حقوق المواطنة ،حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي:راشد الغنوشي –ص48

(3)من الآية:46 سورة العنكبوت

(4)تفسير المراغي ج21 ص5

﴿٨﴾﴿٥﴾[1] وقوله تعالى: لِتُنذِرَ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ﴿٥﴾ [2]

ثانيًا:تحقيق الاستفادة من حرية الجدل الديني بجعلها منوطة بالعلم.

تناولت فترة التنزيل المكي الحديث عن مساوئ الجدال في الله بدون علم، وهو ما يضمن أن تصبح حرية الفكر ليست مجرد حديث لا طائل من ورائه ، فقال تعالى في سورة لقمان لِتُنذِرَ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٥﴾[3]،قال الشيخ أبو زهرة:"ومعنى ذلك أنهم حائرون بائرون،لَا يأخذون بعلم ضروري،ولا بعلم يأتي بالنظر والبرهان،ولا بمنقول من كتاب منزل منير، ويهدي إلى سواء السبيل."[4]

والقرآن بهذا يدعوهم إلى أهمية مراجعة ما لديهم من أدلة لمعرفة أسباب جهل المعاندين منهم وأثره على تخبطهم العقدي وحيرتهم ،فقال تعالى لِتُنذِرَ قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ □□ □□□□□□□ □ □□﴿٥﴾ [5]

قال الشيخ المراغي:"أي بل هم سارعوا إلى تكذيبه من غير أن يتدبروا ما فيه ويقفوا على ما احتوى عليه من الأدلة والبراهين الدالة على أنه كما وصف آنفاً،ومن قبل أن يعلموا أنه ليس مما يمكن أن يؤتى بمثله لِتُنذِرَ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴿٥﴾أي ولم يأتهم إلى الآن ما يئول إليه ويكون مصداقاً له بالفعل ويقع ما أخبر به من الأمور المستقبلة."[6]

---

(1)سورة المؤمنون الآية:96

(2)من الآية 125 سورة النحل

(3)سورة لقمان الآية 20

(4)زهرة التفاسير ج9 ص4949

(5)سورة يونس الآية:39

(6)تفسير المراغي ،ج11 ص108

وقد عرض القرآن المكي هذه الدعوى في مواضع كثيرة مثل سورة الأنعام[1]والنحل[2] ولقمان[3] والفرقان [4]والنمل[5]والأحقاف[6]والنجم[7]،وهو رفض للجدل القائم على مجرد المخالفة ،المفتقرة للعلم وأسس البناء الفكري،ليثبت للحاضر والمستقبل أنَّ التوحيد يؤسس لحرية ترفض الفوضى ووضاعة الفكر،كما يدعو إلى تنقية العقل ،وإعادة صياغته بغرض تأهيله لما سيكلّف به من حمل أمانة الشرع ورسالة التكليف.

المطلب الثالث :التأصيل لحرية الرأي من خلال مبدأ الشورى

تعريف الشورى في اللغة:

أَشار يُشِير إِذا ما وَجَّه الرَّأْي،وَيُقَالُ:فُلَانٌ جيِّد المَشُورة والمَشْوَرَة.[8] قال الدكتور أحمد مختار:"تشاور القومُ:شاور بعضُهم بعضًا،تبادلوا الآراء والأفكار [9]

تعريف الشورى في الاصطلاح:

عرفها الراغب الأصفهاني،قال:"والتَّشَاوُرُ والْمُشَاوَرَةُ والْمَشُورَةُ: استخراج الرّأي بمراجعة البعض إلى البعض."[10]

---

(1)سورة الأنعام الآية :25

(2)سورة النحل الآية 24-25

(3)سورة لقمان الآية :6

(4)سورة الفرقان الآية :5 -6

(5)سورة النمل الآية 68

(6)سورة الأحقاف الآية:17

(7)سورة النجم الآية :28

(8)لسان العرب :ابن منظور فصل الصاد المهملة دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – 1414 هـ ج4 ص437

(9)معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل ، عالم الكتب الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م ج2 ص1246

(10)المفردات في غريب القرآن:الراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)،تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – 1412 هـ ج1 ص470

عرفها الدكتور هاني الطعيمات قائلاً:"الشورى استطلاع رأي الأمة أو من ينوب عنها في أمر من الأمور العامة المتعلقة بها بهدف التوصل فيها إلى الرأي الأقرب إلى الصواب الموافق لأحكام الشرع ؛تمهيدًا لاتخاذ القرار المناسب في موضوعه."[1]

وقيل: هي استطلاع رأي الأمة أو من ينوب عنها في الأمور العامة المتعلقة بها.[2]

وقيل استطلاع الرأي لذوي الخبرة فيه للتوصل إلى أقرب الأمور للحق.[3]

والتعريف اللغوي يشارك المعنى الاصطلاحي في أن الشورى تعني تقليب الرأي بين الأمة وإظهاره .

ولا يخفى أثر الشورى في تقوية العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع ،الواحد وتقوية روح الود والتآلف بين الأفراد،مما يؤثر بشكل فعال في المصالح العامة للأفراد .

وقد ذكر المولى ﷻ الشورى في الصفات الواجب توافرها في المجتمع المسلم في قوله تعالى لِنُنذِرَ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا ﴿٥﴾[4]

بل وقرنها بالتشريعات الواجبة على المسلم يدل على وجوبها خصوصًا عند من قال أن :"القرآن في النظم يوجب القرآن في الحكم." [5]

---

(1)حقوق الإنسان وحرياته الأساسية د. هاني سليمان الطعيمات، الطبعة الأولى سنة 2001م- دار الشروق للنشر والتوزيع - بيروت ص225 .

(2)نظام الدولة في الإسلام وعلاقتها بالدول الأخرى:جعفر بن عبد السلام ،الطبعة الثانية ،1427-2006 ص199.

(3)الشورى في نظام الحكم الإسلامي :الأستاذ عبد الرحمن عبد الخالق ،الدار السلفية ودار القلم ، ط 1975 ص14

(4)سورة الشورى الآية 38

(5)وهو قول بعض الشافعية ؛يقصدون بذلك أن المشاركة في ترتيب الكلام ونظمه توجب المشاركة في الحكم ،فقالوا بأن قوله تعالى لِنُنذِرَ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ ﴿٥﴾ [سورة البقرة الآية:43] لا تجب الزكاة على الصبي كما لا تجب الصلاة عليه،وأنكره الحنفية ،قال البزدوي:"

ووجود مثل هذا التوجه في القرآن المكي ؛حيث لم يكن للمسلمين دولة ولا كيان بالمعنى المتعارف،بل تنزيل سورة في الفترة المكية تحمل اسم **الشورى**؛إنما يدل دلالة واضحة على أهمية الشورى في بناء المجتمعات المتحضرة ؛كما يدل على أنَّ الإسلام كان يجهز لعقلية متحضرة قبل قيام الدولة بسنوات. يقول محمد الصلابي في قوله تعالى لِتُنذِرَ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴿٥﴾:"آية مكية مما يدل على أن الشورى في الإسلام ممارسة اجتماعية قبل أن تكون من الأحكام السلطانية، وهي تصف حال المسلمين في كل زمان ومكان، فهي ليست طارئة ولا مرحلية،ولقد جعل الله سبحانه احترام الشورى من أثمن خصال المؤمنين وصفاتهم."[1]

كما وضع في القرآن المكي مقتضيات الشورى من توفر العلم والفهم والدراية؛فقال تعالى لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ ﴿٥﴾ [2] وقال تعالى: لِتُنذِرَ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ ﴿٥﴾ [3] وتطبيقات الشورى لم تمارس في الفترة المكية ؛ فقد كان المسلمون في مكة كما قال الدكتور سليم العوا:" أفرادًا قبلوا الدين الجديد الذي بشر به الرسول ﷺ وآمنوا به واضطهدوا لأجله؛ لكنهم لم يكونوا أمة منفصلة عن بقية الناس في المجتمع المكي ،ولم تكن لهم أرض يمكن أن تمارس عليها قياداتهم أي نوع من السيادة حتى يمكن لها أن تقيم فوقها حكومتها التي تطبق تعاليم الشريعة التي ينزل بها الوحي."[4]

ننكر ثبوت الحكم به فإنه محتمل وبالمحتمل لا يثبت الحكم وهذا كالمفهوم فإنا لا ننكر أنه من محتملات الكلام وعليه بني علم المعاني ولكنه لا يصلح مثبتا للحكم لأنه لا يثبت بالاحتمال ."[كشف الأسرار شرح أصول البزدوي علاء الدين البخاري الحنفي ج2 ص262،ينظر :شرح التلويح على التوضيح : سعد الدين التفتازاني ج1 ص194، ج2 ص298

(1)الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية:عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر الطبعة: الأولى.

(2)من الآية :7سورة الأنبياء

(3)من الآية : 14 سورة فاطر

(4)النظام السياسي للدولة الإسلامية ،محمد سليم العوا ،الطبعة الثامنة دار الشروق ص43

بل تمت ممارستها في المدينة حيث استشار صحابته في الكثير من المواقف والغزوات التي أقدم عليها ﷺ ومنها؛ مشاورة النبي ﷺ أصحابه في الخروج للقتال يوم بدر:واستشارته إياهم في أسرى بدر.[1]

كما استشار النبي ﷺ في المنافقين الذين آذوه في أهله أخرج الإمام البخاري عن السيدة عَائِشَةَ-رضي الله عنها-:" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: مَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِي قَوْمٍ يَسُبُّونَ أَهْلِي، مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ قَطُّ "[2]

مما سبق يمكننا القول أن التأصيل لمبدأ الشورى في التنزيل المكي ،كان نواة لنظام حكم ديمقراطي يرفض الاستبداد ويحترم آراء الآخرين .

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات:

أولا:النتائج

- لم تكن قضية الاستقرار المكاني أحد معوقات التأصيل لمبادئ الفكر الحضاري في مكة، فبناء حضارة إسلامية عظيمة في المدينة المنورة سبقه سنوات من الإعداد الفكري والنفسي والاجتماعي للإنسان الذي سيقوم على عاتقه بناء هذه الحضارة.

-شملت التنزيلات المكية موضوعات عديدة،أحدثت تفاعلاً إيجابيًا، كان له عظيم الأثر في بناء الشخصية المسلمة التي أقامت البناء الحضاري في المدينة المنورة .

---

(1)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب:"الجهاد والسير "،باب:"الإمداد بالملائكة في غزوة بدر"ج3 ص1383 رقم(1763)

(2)صحيح البخاري برقم(7370)كتاب:"الاعتصام بالكتاب والسنة "، باب: قوله تعالى لِتُنذِرَ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا ﴿٩﴾ من الآية 38 سورة الشورى ج9 ص113

– كان لمرحلة التنزيل المكي دور عظيم في بيان أثر عبادة الله تعالى في الارتقاء بأخلاق المجتمع وسلوكه .

– كان للتنزيلات المكية مزيات عديدة ،عملت على حفز طاقات الالتزام والمسئولية وترغيب الإنسان في اتقان العمل للحصول على خير الجزاء ،وهو ما يرُد على زعم بعض المستشرقين ؛بأن ما نزل من قرآن في الفترة المكية مطبوع بالتشاؤم ،الذي يتناقض مع قيام فكر حضاري .

–كان للتنزيلات المكية دور عظيم في ترقية العقول ؛من خلال الأسئلة الفكرية الكبرى التي شغلت العلماء والمفكرين على مر العصور ،وهو ما يرد على زعم بعض المستشرقين ؛بأن الفترة المكية الأولى كانت تخاطب العاطفة ،وأن هذا الأسلوب هو ما كان يجذب المستمعين من ذوي العقول البسيطة فقط.

–كانت معالجات التنزيل المكي لقضايا الرسالة في أول البعثة عميقة ولها خطواتها المرتبة ،ولم تكن مشتتة كما زعم بعض المستشرقين.

–يعد الحديث عن العدالة الإلهية في التنزيل المكي أحد عوامل ترقية الجوانب الاخلاقية المحقِقَة للعدل بين الناس .

–كان للتنزيل المكي عظيم الأثر في رفض أسباب التفكك المجتمعي ونبذ العنصرية والتفرقة القبلية .

–تأصيل القرآن المكي لمبدأ الشورى؛يدل على أنَّ حرية الرأي ملمح من ملامح المجتمع الإسلامي الجديد.

ثانيًا:التوصيات:

– عقد مؤتمرات دولية تعتني بوضع منهج سليم وآليات واضحة للتعامل مع قضية إصلاح المجتمع المسلم ؛وذلك لمحاولة الحد من استقطاب الأفكار الغربية التي لا تتناسب مع الشريعة الإسلامية.

– الاهتمام بالدراسات التي تقوم برصد جوانب الوعي الحضاري العمراني للقرآن ،وبحث كيفية تطبيقها في الواقع ؛ليسترد القرآن الكريم دوره في التثقيف والتنوير.

–تكثيف الدراسات التي تدور حول مناهج فهم القرآن الكريم وكيفية جعله المصدر الأول لثقافة المسلم المعاصر.

–الاهتمام بتأصيل ودراسة الآليات المعاصرة التي تطبق مبدأ الديمقراطية ،لمعرفة مدى ملائمتها للشريعة الإسلامية.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع المختصة بالتفسير وعلوم القرآن

–أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي ، دار الفكر، بيروت – لبنان ، 1415 هـ – 1995 مـ.

– تأويلات أهل السنة: أبو منصور الماتريدي ،تحقيق: د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، 1426 هـ – 2005 م .

–تفسير ابن باديس:محمد بن باديس الصنهاجي ،علق عليه وخرج آياته وأحاديثه :أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان الطبعة: الأولى، 1416هـ – 1995م.

– تفسير جزء عم:محمد عبده ،الطبعة الثالثة ،الناشر :الجمعية الخيرية الإسلامية سنة 1341 .

–تفسير السعدي:عبد الرحمن السعدي ،تحقيق :عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ –2000.

– تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ،تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420هـ – 1999 م.

– التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب ، دار الفكر العربي – القاهرة.

–تفسير القرطبي:أبو عبد الله القرطبي ،تحقيق :أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ،الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م.

-تفسير المراغي : أحمد بن مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي -مصر، الطبعة الأولى، 1365 هـ - 1946 م.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : د وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر - دمشق ،الطبعة : الثانية ، 1418 هـ.
- زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي ،تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1422 هـ.
- العجاب في بيان الأسباب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس الناشر: دار ابن الجوزي .
-فتحُ البيان في مقاصد القرآن:محمد صديق خان القِنَّوجي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،صيدا بيروت ، 1412 هـ - 1992 م.
-فتح القدير : الشوكاني ، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، الطبعة: الأولى- 1414 هـ .
-معانى القرآن :الأخفش ،تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي:- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1990 م .
- القرآن :نزوله تدوينه ترجمته تأثيره :بلاشير ،ترجمه إلى العربية :رضا سعادة ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1974.
-المعجزة الكبرى القرآن : محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ،الناشر: دار الفكر العربي.
-مفاتيح الغيب:الرازي ،دار إحياء التراث العربي - بيروت ،الطبعة الثالثة، 1420 هـ.
-مفاتيح للتعامل مع القرآن :صلاح عبد الفتاح الخالدي ،دمشق- دار القلم ،1426 هـ -2005 م .
-المفردات في غريب القرآن:الراغب الأصفهانى ،تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم-الدار الشامية ، دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ، 1412 هـ.

– المنار: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: 1990 م.

–الهداية إلى بلوغ النهاية:مكي بن أبي طالب ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م .

ثانيًا:المصادر والمراجع المختصة بالعقيدة

–الاعْتِصَام :الشاطبي،تحقيق ودراسة د هشام بن إسماعيل الصيني ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ،الطبعة الأولى، 1429 هـ – 2008.

–الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية:عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر الطبعة: الأولى.

–شرح العقيدة الطحاوية:ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر ،الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ،السعودية ،الطبعة: الأولى – 1418 هـ .

ثالثًا: المصادر والمراجع المختصة بالحديث:

– الجامع الكبير – سنن الترمذي: أبو عيسى الترمذي،تحقيق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ،سنة النشر: 1998 م.

– سنن ابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية .

– سنن أبي داود : أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني ،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

– شرح صحيح البخارى :ابن بطال ،تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ – 2003م

-صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري،تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ،الناشر: دار طوق النجاة ،الطبعة: الأولى، 1422هـ.
-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:أبو الحسن الهيثمي ،تحقيق: حسام الدين القدسي ،الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، 1994 م
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ،تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

رابعًا:المصادر والمراجع المختصة بالفقه وأصوله:

-إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية ،تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ،الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م.
- البناية شرح الهداية :بدر الدين العينى ، دار الكتب العلمية.
- شرح التلويح على التوضيح :سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ، مكتبة صبيح بمصر.
-الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية :أحمد الريسوني ،الطبعة الأولى دار الكلمة - 1434- 2013م.
-الفقه المقارن وآليات الترجيح،أد:محمد أحمد الخولي الطبعة الأولى 2024م،دار النابغة ،طنطا،مصر.
-مقاصد الشريعة الإسلامية:الطاهر بن عاشور،تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ .

خامسًا :المصادر والمراجع المختصة بالسيرة والشمائل:

-الرحيق المختوم :صفي الرحمن المباركفوري ، دار الهلال – بيروت ،الطبعة: الأولى.
-روح الدين الإسلامي :عفيف عبد الفتاح، بيروت دار العلم للملايين .
-السِّيرةُ النّبوية – عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث : عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: السابعة، 1429 هـ – 2008 م.
-محمد-صلى الله عليه وسلم-في مكة: المستشرق الإنجليزي ويليام مونتجمري وات ترجمه إلى العربية: الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ ،الناشر:الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ، 1415 هـ.

سادسًا:المصادر والمراجع المختصة باللغة والمعاجم

-التعريفات:الجرجاني،ضبطه وصححه جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م
- تهذيب اللغة : محمد بن أحمد بن الأزهري، أبو منصور الهروي ،تحقيق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، 2001م
-التوقيف على مهمات التعاريف: عبد الرؤوف المناوي القاهري ، عالم الكتب عبد الخالق ثروت-القاهرة ،الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م.
-الزاهر في معاني كلمات الناس :أبو بكر الأنباري، تحقيق: د حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، 1412 هـ -1992.
-جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ،تحقيق: رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة: الأولى، 1987م.
-لسان العرب :ابن منظور فصل الصاد المهملة دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ
-مجمل اللغة: أحمد بن فارس القزويني ، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية - 1406 هـ - 1986 م.

-مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي ،تحقيق: يوسف الشيخ محمد ،الناشر: المكتبة العصرية ، الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م .

- المخصص: ابن سيده المرسي ،تحقيق: خليل إبراهم جفال ، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، 1417هـ 1996م.

-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير :أبو العباس الحموي الفيومي الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

-معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م .

- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم :جلال الدين السيوطي، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة / مصر الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2004 م.

-المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.

سابعًا:المصادر والمراجع المختصة بالتراجم والطبقات

-الاستيعاب في معرفة الأصحاب:ابن عبد البر، تحقيق:علي محمد البجاوي ،دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992 م.

- الأعلام :خير الدين بن محمود ،الزركلي ،دار العلم للملايين،الطبعة: الخامسة عشر ،2002 م.

ثامنًا:كتب عامة:

- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام:محمد الطاهر بن عاشور،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،الطبعة الثانية،

-أضواء حول الثقافة الإسلامية :د أحمد عبد الرحيم السايح، الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى 1413-1993.

-تاريخ ابن خلدون تحقيق :خليل شحادة ،دار الفكر، بيروت ،الطبعة الثانية، 1408-1988م .
-تاريخ العرب قبل الإسلام :أ د محمد سهيل طقوشدار النفائس ،الطبعة الأولى 1430-2009م.
-التوحيد جوهر الحضارة الإسلامية إسماعيل راجي الفاروقي ،الناشر :المعهد العالي للفكر الإسلامي الطبعة الأولى 1436هـ.
-التوحيد مضامينه على الفكر والحياة :إسماعيل راجي الفاروقي ،دار المدارات.
-الحضارة -دراسة في أصول قيامها وتطورها-:د حسين مؤنس سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت.
-الحضارة الإسلامية : أحمد عبد الرحيم السايح ، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة العاشرة - العدد الثالث- 1397هـ - 1977م.
-حقوق الإنسان وحرياته الأساسية:هاني سليمان الطعيمات: الطبعة الأولى سنة 2001م- دار الشروق للنشر والتوزيع - بيروت.
-حقوق المواطنة حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي:راشد الغنوشي -المعهد العالى للفكر الإسلامي ،الطبعة الأولى تونس 1410-1989.
-الشورى في نظام الحكم الإسلامي :الأستاذ عبد الرحمن عبد الخالق الدار السلفية ودار القلم .
- العقيدة والشريعة في الإسلام :جولد تسيهر نقله إلى العربية وعلق عليه:د محمد يوسف موسى،د على حسن عبد القادر، دار اكتب الحديثة بمصر ، الطبعة الثانية .
-فلسفة الحضارة :ألبيرت أشفستير ترجمة د عبد الرحمن بدوي ومراجعة د زكي نجيب محمود المؤسسة المصرية العامة القاهرة ،مطبعة مصر 1963
-قصة الحضارة:ول وايل ديرانت ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود ،دار الجيل بيروت .
- كيف نتعامل مع القرآن :يوسف القرضاوي الطبعة السادسة،2006.

-مقصد العدل عند ابن تيمية :د شعيب أحمد لمدي ،دارالشبكة العربية للأبحاث والنشر الطبعة الأولى ، 2014 م.
-من روائع حضارتنا :مصطفى السباعي الطبعة الثانية،بيروت دار الإرشاد 1968.
-وسطية الإسلام وأمته في ضوء الفقه الحضاري :عمر بهاء الدين الأمير، دار الثقافة بقطر ، 1406ه.
-مختصر كتاب الرؤية الكونية الحضاري القرآنية:عبد الحميد أبو سليمان ،الناشر :المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى 1435-2014.
-نظام الدولة في الإسلام وعلاقتها بالدول الأخرى:جعفر بن عبد السلام ،الطبعة الثانية ،1427-2006.
-النظام السياسي للدولة الإسلامية :محمد سليم العوا ،دار الشروق،الطبعة الثامنة .